وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

صورة المرأة في قصة "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو

بحث مقدم لاستكمال نيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبتين:

حاكم حواء

حمادو صورية

تحت إشراف الأستاذ:

أودحمان رياض

السنة الجامعية: 2014-2015

كلمة شكر

بعد حمد الله الذي أمدنا بالارادة و العون على اتمام هذا البحث نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "أودحمان رياض" الذي وجهنا إلى ما هو الأصح.

كما نتوجه بتشكراتنا الجزيلة إلى جميع الأساتذة الذين أمدونا يد العون.

حواء و صوراية

إهـــــــداء

الإهـــــداء

إلى من حملتني في حضنها، إلى شمعة البيت و نوره إلى من يتسع قلبها للجميع، إلى نبع الحنان و الأمان، و أعذب كلمة ينطق بها لساني أمّي العزززة "صليحة" أطال الله عمرها.

إلى من علّمني و رباني، و منحني و أعطاني القيم الفضيلة و الثّقة والاستقرار والتفاؤل، إلى من لا أستطيع أن أنسى فضله و لا أنكر جميله أبي العزيز "أرزقي" أطال الله عمره.

إلى أخوتي: ابراهيم و خلاف

إلى إخواتي: فطيمة، ليندة، زهرة و زوجها و أبنائها عبد الرحمان و يحيا

إلى من شاركتني هذا العمل العزيزة "صوراية"

و اهداء خاص إلى عمّال مكتبة الجامعية الذين منحوا علينا كل الثقة والاطمئنان.

إلى أستاذي المشرف "رياض" الذي هدانا و وجهنا، و الذي يجعلنا دائما نحس بالثقة و الأمل.

و إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي و طلابها.

إلى من عرفني يوما و أحبني دوما.

إلى هؤلاء جميعا أهدي لهم عبارات الشكر و الامتنان.

حــــواء

الإهـــــداء

أهدي ثمرة جهدي و عربون تقديم و وفاء:

- إلى اعزيز و الحنون الذي منحني القوة و العزيمة، و كان لي أفضل سند ماديا ومعنويا "أبي" أطال الله في عمره.
- إلى منبع الحنان و هبة الرحمان، إلى التي فارق الكرّى جفونه من أجل تعليمي وإسعادي "أمي" أطال الله في عمرها.
- إلى قرة عيوني:

أخواتي: يوسف و نبيل و إخواتي: حسيبة و سهام و مينة و فروجة و لامية و إلى أعمامي و عماتي و أبنائهم

- و أهدي هذا العمل إلى خالاتي مسعد و حجلة و حسينة و أخوالي: كريم و أعراب وإلى التي تقاسمت معها هذا العمل أختي حواء و كل عائلتها، و إلى كل من ساعدانا لانجاز هذا البحث و لو بكلمة طيبة.
- إلى الأحباب و الأصدقاء: مريم، علجية، سامية، وسيلة، فاطمة، نصرة.

صورايـة

مــقــدمــة

المقدمة:

من الفنون التّي شهدت انتعاشا و تطوّرا ملحوظا في السنوات الأخيرة، نذكر الفن القصصي الذّي أصبح الاهتمام به بشكل كبير من طرف النّقاد و الكتّاب و القرّاء بعد أن كانت الأشكال النثرية القديمة كالخطاب و المقال و الأدب الرّحلات والمقامة و غيرها تشدّ الاهتمام القرّاء بهم أكثر.

إذ لجأ الأدباء إلى تبني فنون جديدة لم يعرف لها نظير في الأوساط الأدبية سابقا فمنهم من كتب قصصا قصيرة متناثرة هنا و هناك بين الصحف و المجلات، و منهم من بين هؤلاء الكتّاب الذي تناول موضوع القصة اقصيرة نجد "أحمد رضا حوحو" في قصته "غادة أم القرى" الذي تناول من خلاله قضية المرأة من الناحية الاجتماعية التي تعيشها المرأة الحجازية و معاناتها و حرمانها من الحرية و العلم و الحبّ، إذ حاولنا من خلالها أن نتعرف على الواقع القصة في الجزائر.

و من الأسباب التّي رفعتنا لتناولنا هذه القصة ذلك لأنّ المرأة تمثل دورا هاما في مجتمعنا ولاعتبارها جزءا منها.

و قد طرقت هذه الاشكالية إلى تقسيم البحث إلى: مدخل النظري و فصلين.

مدخل: تناولنا فيها أوضاع المجتمع الجزائري في النصف الأوّل من القرن 20، منها السياسية و الاجتماعية و الثقافية.

الفصل الأوّل: تطرقنا إليها حول القصّة الجزائرية في الفترة الاستعمارية. فحاولنا من خلالها أن نقدم منها بعض الأشكال النثرية منه القديمة و الحديثة. و بعدها تناولنا الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية.

و الفصل الثاني: الذي جاء بعنوان "صورة المرأة في قصة "غادة أم القرى" حيث تطرقنا إلى التعريف بصاحب القصة و تقديم عام للقصة أي المضمون. و تطرقنا إلى اشكالية أي كيف استقبلت من طرف النّقاد هل هي رواية أم قصة؟ و ذكرنا جزئين من الصورة و هما الصورة المعنوية و الصّورة المادية، و ذكرنا أيضا الثالوث المحرّم على المرأة (الحرية، العلم، الحبّ) و درسنا صورة المرأة من خلال موقعها الأسري و علاقاتها من سائر الشخصيات.

و نرجو أننا وفقنا و لو بالقدر الضئيل للإجابة على الاشكالات العالقة بهذا الموضوع

مــدخــل

1-أوضاع المجتمع الجزائري في النصف الأوّل من القرن 20:

مارس الاستعمار الفرنسي منذ أن وطأت أقدامهم ارض الجزائري سياسة عنصرية عدائية فسلب الأراضي و الأملاك، و أغلق المساجد و المدارس، و قمع كل أشكال المعارضة. هذه الأوضاع المزرية التي ألّت إليه الجزائر بعد الاحتلال هو الذي ساعد على اشتعال لهيب المقومات الشعبية في كل ربع الوطن، و قد اختلفت هذه الثورات قوّة وضعفا، كالمقومات الأمير عبد القادر 1831-1848 في غرب الجزائري، و ثورة أحمد باي في الشرق الجزائري، و ثورة لالة فاطمة نسومر في منطقة القبائل، و ثورة المقراني و الشيخ الحدّاد.

خلال هذه الفترة قامت السلطات الفرنسية بإصدار مجموعة من القوانين الجائرة، كانت أثرها وخيمة على الشّعب الجزائري أهمها قوانين تنّص إلحاق الجزائر بالفرنسي، واعتبارها جزءا من ممتلكاتها، و قانون الأهالي الذي ينّص علة عقوبات الجماعية على الجزائريين ومصادرة أملاكهم، و سجنهم دون المحاكمة، و منعهم من التنقل داخل الوطن و خارجه إلاّ بإذن حكومة الفرنسية، كانت هذه القوانين شبيهة بقانون الرّق و العبودية في العصور الغابرة.

و بعد الحرب العالمية الأولى رأي الجزائريون بضرورة تغيير من المقاومة المسلحة إلى المقاومة السياسية، فظهرت حركات سياسية مختلفة تدافع عن حقوق المواطنين، تطالب بالمساواة بينهم و بين الفرنسيين من بينهم حركة الأمير خالد إذ كان يطالب بالمساواة وإلغاء القوانين الخاصة بالأهالي، و تطبيق التعليم الإجباري حتّى على الجزائريين، إلاّ أنّ

الاستعمار كان بالمرصاد، فلم تمض خمس سنوات على وجودها حتّى أرغم زعيمها على مغادرة الجزائر، و كان له الأثر البعيد في السّاحة السياسية و الوطنية، إذ ظهر سنة 1924 حزب نجم شمال إفريقيا الذي ترأسه مصالي الحاج، و ظهور حركات إصلاحية منها جمعية العلماء المسلمين بزعامة ابن باديس، فقد أثرت كل هذه الحركات على التاريخ النشاط السياسي، و لكن أكثر الأحداث تأثير فيه هي مجازر 08 ماي 1945، و اشتّد الصراع بين الحركة الوطنية الجزائرية و فرنسا الذي تحوّل إلى الصّراع الدموي.

أمّا من النّاحية الفكرية و الثّقافية، فقد اجمع الباحثون و المؤرخون الفرنسيون الذّين عالجوا فترة الاستعمار في الجزائري على أنّ الثقافة العربية كانت مزدهرة أنذاك، و أنّ معظم السّكان الجزائريين كانوا يتقنون القراءة و الكتابة و دليل على هذا ذكر فرحات عباس في كتابة "ليل الجزائر" أنّ عدد المدارس كان يفوق قبل الاستعمار ألفين مدرسة.

و من بين هذه العوامل التّي اتخذها المستعمر لتدمير الشعب الجزائر نذكر منها التعليم، إذ كان التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي منتشرا في مختلف أرائها، و لما دخل الاستعمار أفزعتهم هذه الوضعية التعليمية الحسنة، فدفعهم هذا إلى الإسراف في التطبيق مخططهم الصليبي، مستهدفين من خلال تجريد الشّعب الجزائري من قيمة و مقوماته، ون قد قاموا بإغلاق المؤسسات الدينية و التعليمية، و كان المحتلون من الجهة الأخرى يعملون على نشر التعليم الأجنبي خاصة في المدن الكبرى، و كان لهذه السياسة الماكرة أثرها في انحصار دائرة العلم في أوساط الأهالي، و تراجع درجة التعليم، و انتشار

الجهل و الجمود في صفوفهم، غلاّ أنّ الشّعب الجزائري ظلّ وفيّا بالرّغم من قلّة الإمكانيات، ون ذلك عن طريق خدمتهم للعلم، و نشره في حدود ما بين يديه من أدوات و وسائل و زوايا و مساجد ومدارس. إلى جانب نجد عامل آخر و هو الطرق الصوفية، ففي هذه المرحلة عرفت الجزائر كغيرها من البلاد الإسلامية بعض العبّاد و المخلصين و العارفين ممّا ينتسبون إلى بعض الطرق الصوفية الأصلية منها و المتفرعة من بينها القادرية ون الرحمانية و العلوية إذ واصل هؤلاء الزّهاد جهادهم فيما دار بين الأمة و بين المحتلين في مختلف أصقاع العالم الإسلامي من صراع، و لها دور في نشر العلم و المحافظة على ما تبقى من التّراث والثقافة العربية الإسلامية.

أمّا أثناء الاستعمار حاول المحتل أن يطمس هذه الثّقافة و لكن بعد الحرب العالمية الأولى أصبحت هذه الثقافة تنافس الفرنسية و تضايقها، و قد نشأت الاتجاهات الفكرية متصارعة كالاتجاه الصوفي و الإصلاحي، لذلك ظهر الاتجاه الأدبي يعالج كل القضايا كالمقالة الأدبية، كما نشأ من هذا التفاعل الثقافي حركة التأليف، لكن المستعمر حاول بكل قوّة أن يعطّل هذه النهضة.

2- وضع الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

يعتبر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية أحد التناقضات الكثيرة التي شكل في وقت من الأوقات ظاهرة ثقافية مناهضة حيث استعمل الكتاب لغة المحتل لمقاومة الاحتلال وهذه الظاهرة وجدت بنسب متفاوتة مع ظاهرة الاستعمار في العديد من البلدان كما هو معروف على الجزائر، و تشكل هوية الأدب بالفرنسية، إحدى القضايا المختلف عليها، ومنه الأدب الجزائري المكتوب الذي كتب به، كما يتجلى في أعمال محمد ديب، و مالك حداد، لقد جاء الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية مناقضا لهذا الأدب التي تحمل هموم الإنسان الجزائري بجميع فئاته و طبقاته و لا سيما الفئات الشعبية و العنصرية المقننة، ليحمل رواية "الدار الكبيرة" و "مهنة الحياكة" أو التي تعيش في مدن كسكان "دار سبيطار" و لقد أعطى هذا الأدب للإنسان الجزائري للأول مرة فرصة التعبير عن ذاته السوء، الشيء الذي ظل الأدب المكتوب من طرف الأوربين السياح أو المقيمين على قيم، و تقاليد و هموم خلال سنوات الثورة المسلحة إلى أدب معركة، و قد ارتقى هذا الأدب ليحول إلى ملحمة التي شكلت الثورة أن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية سنة 1950 و يعبر عن طروحات تتفق أو تتطابق مع les évalues الأولى سنة 1920، هؤلاء يطلقون على أنفسهم اسم المتطورين النماذج و كانوا يؤمنون بالجزائر الفرنسية و يتحمسون لفكرة الاندماج بين الجزائريين و الفرنسيين عن طريق الزواج المختلط.

لقد مر الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية بعدة مراحل و تتمثل المرحلة الأولى لجان ديجو و هي مرحلة التقليد و المثاقفة ثم أعقبتها مرحلة أخرى و هي المرحلة التي ظهرت فيها أعمال محمد ديب و تتميز بكونها مرحلة التململ و محاولة إثبات الذات إزاء الآخر، ثم جاءت مرحلة الأدب المقاوم خلال سنوات الثورة مع أعمال مالك حداد و قد ظهرت فيها أعمال انعكاسها المباشر على الإنتاج الأدبي لكن سرعان ما عرف الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية تحولات كبيرة و تتجلى هذه التحولات من حيث الكم والنوع و الأفكار.

و لكنها ظهرت أسماء جديدة و أقلام عديدة تكتب باللغة الفرنسية بعد الاستقلال و من بينهم رشيد بوجدرة الذي فرض نفسه على الساحة الفرنسية و تجاوزها إلى داخل الجزائر وخارجها تحول بوجدرة بماله من تأثير كبير، بفضل المكانة الأدبية التي أحرزها من الكتابة باللغة الفرنسية و من مستقبل الأدب بهذه اللغة في الجزائر، و هذا موقف آخر جد واضح الكم أو النوع و دخل مجال الرواية من عرف الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية تطورا كبير سواء من حيث وطار و كذلك جيل السبعينات كوسيني الاعرج و بقطاش و بن هدوقة.

الفصل الأول

قبل مجيء الاستعمار كان الأدب الجزائري كسائر أدب العرب يعيش فترة ركود مشدودا إلى الماضي و قوالبه، فكان الشعر هو السيد في ساحة الأدب إلى غاية الهجمة الفرنسية على الجزائر، فشكل الاستعمار صدمة حضارية بأتم معنى الكلمة امتدت آثارها إلى أعماق البيئة الجزائرية.

و كان للأدب الحظ الوافر من جراء هذه الزلزال الحضاري إذ ظهرت على الساحة الأدبية أشكالا أدبية لا عهد للطبقة المثقفة بها و نقصد منها خاصة المسرح، المقالة، القصة الرواية، هذه الأشكال المستحدثة بدأت تزاحم الأشكال الأدبية القديمة خاصة النثرية منها تزاحم الأشكال الأدبية القديمة خاصة النثرية منها و نذكر من هذه الأشكال:

- ✓ أدب الرحلة
- ✓ الخطابة
- ✓ الرسالة
- ✓ المقامة

ا -أدب الرّحلة:

فن الرّحلة هو لون أدبي ذو طابع قصصي، كما أنّه ضرب من السيرة الذاتية في مواجهة ظروف و أوضاع، فهو وصف في النهاية لكل ما انطبع في ذهن الرحالة عبر مسار رحلته و في احتكاكه بالمحيط، و يعتبر هذا الفن إلى جانب قيمته الترفيهية و الأدبية أحيانا مصدرا هاما للدراسات التاريخية المقارنة.

و قد برزت الرحلة كفّن أدبي مدوّن ابتداء من القرن الثالث هجري بجهود بارزة و من بينها عمل "اليعقوبي" صاحب كتاب "البلدان" و من بعده "المسعودي" صاحب كتاب "مروج الذهب".

و قد عرف فن الرحلة كأثر مكتوب في الجزائر نشاطا معتبرا في القرن الثامن عشر، و ذلك في إطار المناخ الجديد الذي عرف ظهور المطبعة فنشطت الطبع و النشر، و هو نشاط عكسته نماذج معتبرة بمادتها و رجالها و قضاياها.

أدب الرحلة في الجزائر في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر:

ا-1 في القرن الثامن عشر:

أسهم الرحالة الجزائريون في هذا العصر بمجهودات في هذا المجال، و مارس كتّاب كثيرون هذا الفن، و لاسيما تلك الرحلات التي كان يقصد منها لقاء شيوخ الطرق لأداء فريضة الحج، و من بين أشهر الرحالة الجزائريين في تلك الفترة نجد "أحمد بن عمارة" و "محمد بوراس المعسكري" و "الورتلاني" و "ابن حمادوش الجزائري" و غيرهم.

و قد شهد هذا القرن أيضا رحلة سياسية عسكرية جسّدت جانبا من سياسة نقلت وقائع وأخبار جغرافية و تاريخية، و صوّرت أوضاعا اجتماعية و سياسية و أدبية، و هي رحلة "محمد الكبير" فهذه الرحلة هي خاتمة للقرن الثامن عشر، و فاتحة للقرن التاسع عشر الميلادي.

أ- 2 في القرن التاسع عشر:

عرف القرن التاسع عشر نماذج للرحلات، اختلفت مسارتها، و تعددت مقاصدها، وتباينت مستويات التعبير الرحلة الحجازية التي اتخذت وجهتها الحجاز لأداء فريضة الحج، و هناك أيضا الرحلة السياسية و التي لها طابع سياسيا في شكلها العام، و هناك أيضا الرحلة الاستطلاعية التي اتخذت طابعا جغرافيا تاريخيا استطلاعيا.

و ما أصاب لغتها العربية من ضعف و ركاكة، لأنّ لغة هذه الرّحلات و صياغتها بدت دون مستوى سابقاتها، فعكست بذلك التدهور الذي شهده النثر الجزائري إبان الاحتلال.

أ- 3 القرن العشرين:

إن كانت الرحلات السابقة قد اتجهت إلى خارج الوطن، فإنّ الرحلات هذه الفترة اتجهت أكثر إلى داخل الوطن و خاصة تلك التي قام بها رجال الإصلاح، لهدف الفكرة الإصلاحية ونشرها بين الجماهير، و دعوتها إلى اليقظة و النهوض، و كان الهدف منها أيضا خدمة الشعب الجزائري بالتعريف بقضيته من جهة، و بنقل مشاهدات تفيده من جهة ثانية.

كانت رحلات رجال الحركة الإصلاحية في الداخل تصور مدى تعلق الشعب بالحركة وعلمائها، نلمس في رحلات "ابن باديس" و يصرح بهدفه من وراء رحلاته و هو تذكير الناس بدينهم، و حثهم على الرجوع إليه، ثم يأخذ في وصف جولاته بذكر أسماء مدن وقرى كثيرة.

و عموما حاول الكتّاب الجزائريون في هذه الفترة كتابة مذكراتهم بوصف رحلاتهم الداخلية والخارجية، و تسجيل مشاهداتهم و لقاءاتهم في قالب أدبي.

ب- الرّسالة:

فن الرّسائل من الفنون النثرية التي بدأت تزدهر في الأدب العربي منذ عصر التدوين خاصة حين أنشئت المكاتبات الديوانية، و اتسعت رقعة الخلافة العربية الاسلامية، و من هنا بدأت العناية بالرسائل و أساليبها. و قد اتسمت كتابة الرسائل ببعض الخصائص معينة منها: الملائمة بين الموضوع و الأسلوب، و العناية بالصياغة و السجع، و لكن عندما احتلت الجزائر عام 1830 كانت هناك بقية من هذه الأساليب المنحدرة، كما بقيت آثار عن الثقافة العربية.

و يمكن التمييز بين اتجاهين من الرسائل من حيث الأسلوب:

الاتجاه الأول: و هو الذي يبدي في الكاتب مشاعره، و يعبّر عن العربية، و يمثل هذا الاتجاه "حمدان خوجة".

الاتجاه الثاني: حيث يعمد فيه الكاتب لجمال الأدبي دون عنايسة كبيرة بالصياغة، حيث طوّعت فيه اللغة للتعبير بسهولة و يسر. و تضح هذا الأسلوب في رسائل الأمير عبد القادر.

في القرن العشرين: أمّا في القرن العشرين، و في ظل الحركة الإصلاحية، استعاد هذا الفن كثيرا من أصالته فيما يخص اللغة و العبارة. أما من حيث الأسلوب و الطريقة، فالرسائل أصبحت تميل إلى الوضوح و الدخول مباشرة في الموضوع، و قد تطور أسلوب الرسائل في هذا العصر خاصة على يدي البشير الابراهيمي.

ج- الخطابة الجزائرية أثناء الاحتلال:

لم تستمر الخطابة على هذا النحو في الجزائر بعد الاستقلال، و ذلك لظهور عدة مثقفين وشخصيات امتلكوا ناصية القول، و أدركوا دور الخطابة في الدعوة إلى الجهاد، خاصة وأن فترة الاحتلال تساعد على هذا اللون من النثر.

إن الحرب ضد المستعمر، و ظروف الصراع أسهمت أن تصبح وظيفة الخطابة هي التعبير عن قضية وطنية، أو عن عقيدة روحية بعد أن كانت قبل الاحتلال تعبيرا عن موضوعات مستهلكة متكررة، فالأمير عبد القادر في إحدى خطبه يوضح موقفه من الاستعمار و يوضح موقفه أيضا تجاه الحرب و السلم، فلم يجد سوى الأسلوب الحماسي الذي يحث على القتال طريقا لاستنهاض الهمم.

أما الخطابة بعد الأمير: لقد ضعفت و تدهورت الخطابة بعد الأمير، و ذلك تبعا لتدهور الظروف المتصلة بالحياة الأدبية و الثقافية و الفكرية و السياسية، فقد هيمن المستعمر على الواقع و كان تأثيره قويا على أداة الخطابة، و لكن بعد أن انتشرت الصحافة الوطنية، ظهرت الخطابة بوجه آخر متطورة في أسلوبها و مضمونها و موضوعها.

فلقد كانت الخطابة أداة صالحة لإذاعة أفكار جمعية العلماء المسلمين و مبادئها بين الناس فقد ظهر خطباء فصحاء مثلوا هذه الجمعية أحسن تمثيل و يأتي في مقدمة الإصلاح: عبد الحميد بن باديس و البشير الابراهيمي و الطيب العقبي و أحمد توفيق المدني و غيرهم.

و إلى جانب الاتجاه الاصلاحي في الخطابة ، نجد اتجاها آخر يركز على الناحية السياسية الوطنية، و يهاجم الاستعمار بجرأة و صراحة فائقة، و قد كان فيهم من الخطباء باللغة القومية من لا يختلف عن خطباء حركة الإصلاح فصاحة و بلاغة، و قدرة على الارتجال فالطابع العام الذي تتسم به خطب المصلحين هو طابع الدين و الوعظ، بينما يغلب على خطب رجال حزب الشعب طابع السياسة و الحماسة و الانفعال و الهجوم على الاستعمار وعلى العموم استطاع فن الخطابة في هذه الفترة أن يؤدي دوره الأدبي في الجزائر، بحيث طرق أهم الموضوعات التي كانت تشغل بال الناس، و ذلك بالرغم من اضطهاد المستعمر و تضييقه الشديد على المثقفين باللغة العربية.

و ختام القول: أن الخطابة في النثر الجزائري، أنها اختلفت من حيث المحتوى والموضوع من جهة، و مالت إلى الوضوح و البيان العربي الأصيل من جهة أخرى.

د- المقامات:

فن المقامة من الفنون النثرية التي ظهرت منذ القدم فهي عبارة عن قصة قصيرة تدور حول شخصيات نمطية، تهدف إلى السخرية و الإضحاك أو النقد الاجتماعي أو الأدبي وتصاغ في أسلوب و الصور البيانية، و ضروب البديع.

المقامة في الأدب الجزائري:

لقد اعتن الكتاب الجزائريون بهذا الشكل في وقت مبكر على الرغم من أن القرن التاسع عشر يعتبر من أفقر الفترات في الكتابة الأدبية، إلا أن هناك كاتب برع في هذا اللون من الكتابة الأدبية و هو "محمد بن محرز الوهراني" الذي كتب مقامات و رسائل أدبية بكثرة.

و على هذا الأساس يمكن أن تميز بين نوعين من المقامات ظهرت في هذه الفترة و هما: المقامات الصوفية، المقامات الأدبية.

الى جانب هذه الاشكال النثرية القديمة ظهرت الى جانبها أشكال جديدة لم يعرفها العرب عموما و الجزائريون خصوصا إلا مع الاحتكاك بالغرب سواءا بطريقة سلمية أو عنيفة و هذا هو الغالب . ومن الاشكل الحديثة نذكر منها :

1-المسرح:

يعد المسرح أحد الفنون الأدبية الإدائية الذي يعتمد أساسا على ترسيخ الأفكار في ذهن الجمهور فهو ليس وسيلة للترفيه و المتعة فحسب بل يعد مؤسسة تربوية تهم جميع الطبقات الاجتماعية و يسعى المسرح إلى إحياء التراث و الماضي، و تعود جذور المسرح الجزائري إلى عروض شعبية و ابرز هذه العروض نجد ما عرف "بالمداح" وهي عبارة عن دراما شعبية، كما يضيف الباحثون أن البداية الفعلية للمسرح الجزائري كانت مع زيارة الفرق المصرية إلى الجزائر "فرقة جرج الأبيض" و نظر لنقص الخبرة والتجربة الفنية مع ممارسته

السلطات الاستعمارية، من تصنيف ومحاصرة للغة العربية الفصحى أدى ذلك إلى فشل طريق الإبداع المسرحي الجزائري.

2- المقال:

هي لون من ألوان التعبير النثري الذي كثر استعماله في الأدب العربي يعالج مواضيع شتى أدبية علمية...إلخ، عرف الأدب العربي ما يشبه المقالة المعاصرة في كتابات تختلف المقالات باختلاف مواضعها فهناك المقالة السياسية و الاجتماعية و الأدبية.

و ظهر فن نثري حديث هو القصة الفنية التي لم يعهدها العرب من قبل .

1-القصة في الأدب العربي:

1- تعريف القصة:

أ- لغة:

جاء في معجم "لسان العرب" لابن منظور "مادة (قصص) تعني تتبع أثر الشيء شيئا بعد شيء و إيراد الخبر و نقله للغير، و تعني أيضا جملة من الكلام"[1].

أما في القاموس المحيط للفيروز آبادي وردت معان كثيرة لكلمة (قص) و منها "قص أثره قصا، و قصصا تتبعه، و الخبر أعلمه (فارتدا على أثرهما قصصا) أي رجع من الطريق الذي سلكاه"[2] فالقصة في اللغة كما ورد في المعجم الأدبي هي: "أحدوثة شائقة، مروية أو مكتوبة يقصد بها الإقناع و الإفادة"[3].

ب-اصطلاحا:

سنحاول تقديم بعض المفاهيم حول القصة لمختلف النقاد العرب و غير العرب.

فالقصة عند الكاتب الانجليزي (تشارلتن) هي: "إن لم تصور الواقع فإنه لا يمكن أن تعد من الفن"[4].

[1]- ابن منظور، لسان العرب، إعداد و تصنيف يوسف خياط ،(د.ط، بيروت، دار العرب، د ت) مادة (قصّ).
[2] فيروز أبادي، القاموس المحيط، (ط2، مصر، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952) مادة (قصّ).
[3]- الدكتور جبور عبد النور، المعجم الأدبي، (دط، بيروت، دار العلم للملايين، 1979) مادة (قصّ)
[4]- فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، (دط، بيروت، 1969) مادة (قصّ).

أما الناقد الانجليزي (والترألن) فيراها: "أكثر الأنواع الأدبية فعالية في عصرنا الحديث بالنسبة الوعي الأخلاقي، فهي عن طريق فكرتها و فنياتها تتمكن من جذب القارئ إلى عالمها

فتبسط الحياة الإنسانية أمامه بعد أن أعادت صياغتها من جديد. و هي في صورتها العامة عند (فورستر) حكاية فحسب تتابع أحداثها في حلقات مثلما تتسلسل فقرات الانسان"[1].

فالقصة بمفهومها العام شديدة الصلة بحياة الإنسان اليومية منذ فجر التاريخ فلا تكاد تخلو منها حياة أي شعب من الشعوب سواء كانت مدونة أو مروية شفاها.

و المفهوم الحديث للقصة يختلف عما كانت عليه في القديم من حيث دورها و تقنياتها فهي ليست حكاية سرد حوادث معينة أو حياة شخص كيفما كان، و لكنها محددة بأطر فنية عامة تميزها عن بقية الفنون التعبيرية الأخرى كالمسرحية و القصيدة الشعرية، "و قد توضح شكلها الجديد بعد نشأة القوميات الحديثة، و تحرر عبيد الأرض و انتشرت الطباعة انتشار كاملا وظهور الصحافة"[2].

---

[1]- محمود زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة -أصولها، اتجاهاتها، أعلامها- (د.ط، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت)، ص3.

[2]- أحمد المدني، فن القصة القصيرة للمغرب الأقصى في النشأة و التطور و الاتجاهات (د.ط، بيروت، دار العودة، د.ت).

2-نشأة القصة القصيرة:

أ- القصة عند الغرب:

بعد سرد الأحداث و قص الحكايات قديم قدم الإنسانية، فالإنسان مولع بإعادة سرد الأحداث التي مرت عليه، و من هنا يرجع النقاد ظهور القصة إلى عصور موغلة في القديم إذ نشأت و تطورت بتطور الإنسان.

لكن القصة القصيرة كشكل فني واضح المعالم لم تظهر إلا في عصر الحديث إذ تطور القصة في القرن التاسع عشر عند الغرب بفضل جهود ثلاث من كبّار كتاب القصة و هم "أدجار ألان بو في أمريكا (1809-1848)، و جي دي موباسان في فرنسا (1850-1893)، و أنطوان تشكرف في روسيا سنة (1860-1904)[1].

و يرى مجمل النّقاد أنّ " إدجار ألان بو" ركز على شطرين فنيين كرس لهما مقالاته النقدية و النظرية، يتلخصان في "وحدة الانطباع أو الأثر، و وحدة البناء"[2]، لحظات قصيرة، ووقائع عادية لكنها ذات دلالة في حياته، و لها تأثير على واقعة، و هي لحظات تعبر عن موقف يتعرض له الانسان في حياته اليومية، و أتى بعدهم تيشيكوف الذي أولى عناية كبيرة بالشخصية القصصية أو حررها من الجهود و عني بالأفراد العاديين و صور حياتهم في صدق و واقعية، و أعطى لبطل القصة مفهوما جديدا، كما أعطى أهمية بالغة لعنصري التركيز و الايحاء في القصة القصيرة.

[1]- مصطفى عبد الشافي، ملامح من عالمهم القصصي، دراسات في القصة العربية المعاصرة، (دط) دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، مصر، 1997، ص5.

[2]- نجيب لالعوفي، مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، من التأسيس إلى التجنيس، ط1، المركز الثقافي العربي، 1987، لبنان- المغرب، ص51.

إذن القصة القصيرة كشكل فني محدد المعالم، ترجع في نشأتها و تطورها ألى الغرب، وهي نشأة حديثة بالنسبة إلى الفنون الأدب الأخرى.

ب- القصة عند العرب:

اختلف النقاد و الباحثون حول أصول القصة في الوطن العربي، فمنهم من يرى أنّ جذورها ضاربة في أعماق التاريخ الأدب العربي، إذ اشتهر العرب بأنواع كثيرة من القص مثل الحكايات و السير و القصص الشعبي مثل المقامات و غيرها، كما أسهم العرب في "القصة الفلسفية و القصة اللغوية إذا جاز التعبير و في أدب السمر و صغت عشرات القصص"[1] وفضلا عن القص الديني الذي كان مصدره القرآن الكريم و الكتب السماوية الأخرى.

لكن هذا من جهة، و من جهة أخرى ارتبطت النشأة الفنية للقصة القصيرة بالقرن العشرين بعد الاحتكاك بتيارات فكرية و أدبية في الغرب، فتأثرت هذه النشأة القصصية بالقصة الأوروبية حدثا و شخصيات، كما تأثرت بها شكلا و طولا و قصرا، عناصر و أسلوبا وصيغا غنية مختلفة.

و قد تباينت فترات هذا التأثير بين أقطار الوطن العربي، فكانت لمصر الرّيادة في إرساء قاعدة هذا الفن إذ "تلاقت ندوة من شباب العصر في طليعتهم: "حسن محمود" و "يحي حقي" و "محمود عزي" و "محمود تيمور" و كان الشغل الشاغل لهذه الندوة أن توجد القصة المصرية في الحديث ... ذلك هو ما كانت تلهج به.

---

[1]- طلال حرب، أولية النص نظرات في النقد، (دط)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، لبنان، 1999، ص45.

و تدعو إليه، و تعمل عليه ... فأصدر "أحمد خيري سعيد" مجلة "الفجر"، لسان حال لتلك الدعوة الأدبية التي كانت وقتئذ شعاعة تائهة في أفق يكسوه الضباب ... و ما هي إلاّ سنوات قصار، حتى صحا الأفق و سطعت الفكرة.

و تجلى "طه حسين" و "توفيق الحكيم" و "المازني" و "العقاد" و "شوقي" يدعمون الفن القصصي، يقيمون صرحه، بما أولوه من عناية و تقدير، فانشقت للقصة المصرية مكانة مرموقة جذبت إليها ذلك السيل الدافق من الأدباء و القصاصين، إلى جانب محولات مصرية هناك محولات من لبنان.

رغم أنّ معظم الباحثين أقروا بأنّ القصة القصيرة العربية حذت حذوا القصة الغربية وهذا يبدو جليا إلا أنها اتخذت طابعا عربيا متميزا في مضمونها، و في معالجتها للواقع العربي والغربي و لمشاكله، أي أنّ القصة القصيرة العربية لم تكتف بمحاكاة القصة الغربية فقط، بل استطاعت تطويعها على انشغالات المجتمع العربي و استطاعوا ترك بصمتهم فيها، وتميزها عن غيرها.

4- القصة الجزائرية في الفترة الاستعمارية:

- **الأدب أثناء الاستعمار:**

الواقع الأدبي في الجزائر أثناء الاستعمار لا يختلف كثيرا عمّا هو موجود في الدّول العربية الأخرى، حيث عانت الجزائر من ويلات الاستعمار الفرنسي الذي حاول عزل الجزائر عن العالم العربي، و قطع جذورها و انتمائها، و عدم السّماح بدخول المنشورات الغربية إلى الجزائر، و سجن و قتل رموز العربية و الأدب، زيادة عن النظرة التي كانت سائدة أنذاك في الجزائر اتجاه الأدب، حيث كان مفهوم الأدب هو شعر لا غاية. و لعلّ رعاية الحركة الإصلاحية الجزائرية بزعامة جمعية العلماء المسلمين بصحفها و مجالاتها للأدب والاتصال بالمشرق العربي.

و من بين عوامل تأخر القصة:

أولا: الاستعمار الذي كان في مقدمة الأسباب التي أخرّت ظهور القصة بالعربية، فهو الذي وضع الثقافة القومية في وضع مثل حركتها، و جعلها عاجزة عن مسايرة الركب الحضري والفكري في العالم العربي بحيث حاول إحلال لغته و دينه محل اللّغة العربية و الدين الإسلامي، فطغت اللغة الفرنسية على التعليم و المرافق العامة، فظهرت الازدواجية في الأدب، و أصبح للجزائر "أدب باللغة الفرنسية و أدب باللغة العربية"[1].

<u>ثانيا</u>: لم تكن سبل التعبير باللغة العربية متوفرة في الجزائر خلال الاحتلال، لأن الشغل الشاغل للمصلحين كان الحفاظ عليها من الضياع و الاندثار، و لم يعنوا بلغة الأدب والفن

---

[1]- عبد الله الركيبي، الأوراس و دراسا أخرى، ص145.

و بعبارة أخرى لم يكن يطلب منهم تطوير اللغة لتصبح صالحة للفن، فقد كانت اللغة العربية بيد الحركة الإصلاحية لغة منبر و مقالة و بحث و دراسة، لكن على الرغم من كل هذا فإنّه يكفي لهؤلاء أنهم حافظوا على اللغة العربية.

ثالثا: كان الأديب هو الذي ينظم الشعر و يتقن صناعته و لا يحتاج في ذلك بذل أي مجهود لكون الشاعر متميز بالسلفية و العقوبة، و كان من الصعب أن توجد القصة كفن متميز له سماته الخاصة لأنّ الشعر استولى على عرش الأدب.

رابعا: التقليد التي كانت حاجبا مهما بين المواطن و المستعمر، و لقد تمسك بها أهل الوعي و الفكر في الجزائر و دافعه في ذلك قومي ديني و اجتماعي، و هذا مما حدد أغراض الأدب.

خامسا: كانت نسبة الأمية مرتفعة عاملا سلبيا حال دون العطاء الأدبي، كما أن قلة المطابع في الجزائر أضعفت حركة التأليف.

سادسا: لم تكن ظروف الصافة العربية و الوطنية مؤهلة لتشجيع النتاج الفني، فغاب عن النقد البنّاء الذي يساعد على تطوير الأدب و يدفعه إلى الأمام، أما صحافة الإصلاح فقد كانت "أقلام القائمين عليها موجهة نحو العلوم اللغوية و الشعر و النثر التقليدي، ثم إنّ ارتباطها بخط الإصلاح الديني حدد تعبير الأدبي فيها و حصره في الشعر و المقالة الملتزمين بالأغراض التاريخية و الدينية و القومية و الاجتماعية"[1].

[1]- نور سلمان، الادب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ص142.

و اختلف الباحثون حول بدايات الأولى للقصة التي ظهرت في الأدب الجزائري الحديث، فقد ذهب "عمر بن قينة" "إلى أن محاولة "الديسي" في قصته "المناظرة بين العلم و الجهل" سنو 1908 و هي نقل جدل تصور الكاتب بين العلم و الجهل، هي أول محاولة كتابة القصة"[1].

و ذهبت عايدة أديب بامية إلى أن أول قصة منشورة هي قصة"دمعة على البؤساء" التي نشرتها جريدة "الشهاب" في عددها الصادرين يومين 18 و 28 لشهر أكتوبر عام 1962.[2]

[1]- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، (دط)، ديوان المطبوعات الجامعية، (دت)، الجزائر، ص164.
[2]- عايدة أديب بامية، تطورات الأدب القصصي الجزائري 1925-1967، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، (دت)، الجزائر، ص306.

5- البدايات الأولى للقصة في الجزائر:

تعود بدايات الأولى للقصة في الجزائر إلى سنة 1925 فإنه شهد التحول رؤية و شكلا ومضمونا مع أحداث 08 ماي 1945، التي كشفت للجزائريين حقائق لم تكن معروفة لديهم فكانت الصدمة و المأساة الحقيقية في آن واحد، و بداية العد التنازلي لثورة نوفمبر 1954 زيادة على ذلك تعاظم دور الحركات الوطنية الذي ساعد على ظهور القصة، فقد كان هذا الفن هو الوعاء القادر على احتواء جميع القضايا الخاصة بالمرحلة التاريخية التي تواجد فيها فن القصة خصوصا بعد انتفاضة 1945.

و من خلال سنة 1945 إلى غاية سنة 1954 تأسست المدارس الحرة تحديا للاستعمار الفرنسي في الكثير من المناطق الوطن و كان الهدف من وراء ذلك تشكيل جيل جديد من الشباب الجزائري الذي آمن بعودة الجزائر، و بدأ في التحضير إلى ذلك، فكان البعض منهم انصرف إلى المجال الأدبي قصة و شعرا و مسرحية و ذلك من أجل إعداد الإنسان الجزائري لتحمل مسؤولياته الخطيرة التي تنتظره، و التي تمثلت في ثورة نوفمبر 1954 وبفضلها كان ميلاد القصة الجزائرية بمفهومها الفني السليم لقد كانت الثورة الجزائرية لها الفضل على الأدب الجزائري في ظهور القصة الفنية التي كتبت من جهتين باللغة العربية وباللغة الفرنسية، و من بين الأدباء الذين كتبوا على هذا المنوال "محمد ديب" في ثلاثياته "الدار الكبيرة" و "الحريق" و "النوال".

لقد قامت القصة الجزائرية الفرنسية بدورين هامين في مجالها الخاص:

الأول: كشف الستار عن الواقع الاجتماعي الجزائري و إبراز كل المشاكل التي واجهته.

الثاني: مواجهة المستعمر بحقائقه و أفعاله اللاانسانية بواسطة لغته و التي يفهمها جيدا و ذا هو المضمون الذي عالجته هذه القصة بصفة عامة.

دار جدال حول القصة المكتوبة باللغة الفرنسية فقد تسأل بعضهم هل هي جزائرية بحكم القضايا التي عالجتها و مضامينها أو هل هي فرنسية بحكم اللغة المكتوبة بها؟ لكن النقاد في الجزائر يجمعون على أن القصة الجزائرية الفنية الناضجة قد ولدت مع الثورة الجزائرية في سنة 1954.

6- مراحل القصة القصيرة الجزائرية:

لقد مرت القصة القصيرة الجزائرية في تطورها بمراحل عديدة و ما يحمسنا في بحثنا هذا مرحلة ما قبل الثورة التحريرية. فهي مرحلة النشأة و تمتد حتى نهاية الحرب العامية الثانية وهي الفترة التي كان الشعب يتلّمس طريقة فيها نحو النهوض في شتى المجالات، بما فيها الأدب و من ثم فإن الأشكال القصصية التي ظهرت فيها، كانت أشكالا بدائية في أسلوبها وشكلها و طرائق التعبير فيها، و معالجتها للمضامين التي ارتبطت بالفكر الإصلاحي أساسا، و نلاحظ عناية الأدباء بالمقال القصصي بالدرجة الأولى و يأتي اتهماهم بالصورة القصصية بالدرجة الثانية.

المرحلة الأولى: و هي مرحلة المقال القصصي، و كان المقال القصصي هو البذرة الأولى للقصة فهو "مزيج من المقال القصصي: و كان كاتب المقال يبدأ غالبا بمقدمة خطابية ووعظية و يتبعها بسرد الحوادث و وصفها[1]. توقف المقال القصصي عند قيام الثورة التحريرية، حيث أنه في سنة 1941 كتب أحمد حوحو" مقالا بعنوان "استنطاق الشخصيات في الأدب القصصي" بحث فيه الأدباء على كتابة القصة لخلو الأدب الجزائري من هذا الفن من جهة، و للتقويم الخلقي و الاجتماعي من جهة أخرى.

و لنا الصورة القصصية: و قد ظهرت في فترة واحدة مع المقال القصصي، و يعتبرها بعض الباحثين كبداية حقيقية للقصة الفنية و استمرت الصورة القصصية إلى غاية الاستقلال[2]، فلم تتضح و لم تكتمل فيها عناصر القصة و سماتها.

[1]- أنظر: عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص197.

[2]- أنظر: عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص199.:

و قد كان هدف الصورة القصصية، رسم صورة كاريكاتورية لخصية ما و التركيز على فكرة معينة لتنطبع في ذهن القارئ كما يتخيلها الكاتب فقامت الصورة القصصية بدور واضح لملئ الفراغ الذي شعر به الأدباء آنذاك في ميدان القصة، لكنها عالجت موضوعات الساعة التي شغلت أذهان الناس.

إذ أنها جاءت انتقاديه للوضع السابق، و اهتمت بتصوير الأمراض الاجتماعية الكثيرة والسلوكات الانحرافية "من بيروقراطية و رشوة و محسوبية و جهوية عشائرية و اختلاس وتتصل بعض المسؤولين من واجباتهم اتجاه الناس، و حماية الثراء الغير المشروع، والبحث الربح و سيطرة المادة تبعا لذلك على تفكير الناس"[1].

من هنا يمكن نقول أنّ القصة في هذه المرحلة انحصرت في المجال الإصلاحي الذي لا يخرج عن إطار الدين و التقاليد، ممّا أدى بكتّابها على عدم التركيز على الأسلوب، فالكاتب لا يختار لغته و أسلوبه، كما أنه لا يختار الحادثة أو الشخصية، و إنما يكتب كما يشاء كما اتفقت عليه طالما ساعدته المفردات و الكلمات.

و تعتبر هذه المرحلة تمهيدا لتطور واضح بعد الحرب العالمية الثانية التي كان لها أثرها في اليقظة الفكرية و السياسية و الثقافية و بإطلاع المثقفين الجزائريين على نماذج من القصة العربية، لم يعد مفهوم الأدب هو الشعر وحده، كما انتبهوا إلى أنّ القصة القصيرة لها قيمتها و مكانتها في الأدب العربي و العالمي.

[1]- ابراهيم صحراوي، ديوان القصة "منتخبات من القصة القصيرة الجزائرية"، منشورات أمانة عمان الكبرى، دط، 2002، ص21.

<u>المرحلة الثانية:</u> التي تمتد حتى البدايات الأولى لثورة نوفمبر 1954، هنا عرفت القصة تطورا على مستوى الشكل و المضمون فمن ناحية الشكل نلاحظ توظيفا جديا للغة، بحيث أصبح الكاتب يهتم بالتعبير التلميحي الإيحائي لا المباشر، كذلك نلاحظ التركيز على موقف خاص يختاره الكاتب، و مال بعضهم إلى التركيز في رسم الشخصية، و وصف الحادثة ولكن بعضهم لم يستطع أن يتحرر من المفهوم القديم لكتابة القصة، فظلوا ينظرون إلى القصة على أنها حكاية حول شخص أو أكثر تصاغ بطريقة نثرية دون الاهتمام بالعناصر الفنية الأخرى التي تساعد القاص على جمع خيوط القصة.

و من أبرز كتّاب هذه المرحلة "أحمد بن عاشور"، "عبد الحميد الشافعي"، "زهور ونيسي" ... هؤلاء الذين كان لهم الفضل في التمهيد لنشر هذا الشكل الأدبي في الأدب الجزائري المعاصر، و استخدموها كأداة للتعبير عن التجربة الخاصة بالفرد و التجربة العامة المتصلة بالمجتمع.

"بعد ذلك تطورت القصة على يد جيل جديد خاصة بعد قيام ثورة نوفمبر ... فنلمس تطورا في الموضوعات مثل الحديث عن الاغتراب و عن الهجرة و كذا تأثير الحرب على حياة الناس، إلى جانب العناية بالمرأة و دورها في النضال، كما تغير مفهوم البطل كان في الماضي هو الرجل الإصلاحي الذي بدافع عن العقيدة، أصبح الإنسان الذي يكافح ظروفه". و تبعا لكل هذا بزغت محاولات على يد كتّاب أرسو لقواعد الكتابة القصصية المتطورة أمثال: أبو العيد دودو"، "عبد الحميد بن هدوقة"، "طاهر وطار"، "عثمان سعدي"، حنفي بن عيسى"، فاضل المسعودي"، "محمود الصالح الصديق" و "عبد الله ركيبي" ....

المرحلة الثالثة: ما بعد الاستقلال إلى اليوم، نلمس في هذه الفترة استمرارا لموضوع الثورة وأثارها و أحداثها و لم يحدث هناك تغيير واضح على مستوى الشكل والمضمون، و لكن مع هذا وجدت بعض النماذج التي تحاول أن تركز على الواقع وسائل الأفكار التي انتشرت في هذه الحقبة، و تسمح لنا هذه الملاحظة بالإشارة إلى أن بتصوير هذه النصوص اللازمة وبوادرها و أعراضها أدى بكثير منها إلى أن تكون ذات رؤية مستقبلية لما ساد من بعد.

إذ "انصرف الكتاب إلى قراءة الواقع الجديد المتسم بالعنف الأعمى الذي عانت منه الجزائر في العشرية الأخيرة من القرن المنصرم، و أثاره على الوطن و ناسه ماديا و معنويا، فأنتج في هذا السياق كم هائل من النصوص يمكن تصنيفها تحت اسم "أدب الأزمة أو الفجيعة" وتجلى ذلك في عدد من القصص لكتاب أمثال "زمن الحب"، "زمن الموت" "لأحمد منور" "أوجاع امرأة خلعتها القبيلة" "لجميل زنير"، "هديل الحمام الحزين" "لجلالي خلاص" ..."[1] حيث فعملت هذه النصوص على تعرية الواقع بمختلف جوانبه قصد الوصول إلى إدراك حقيقته.

---

[1]- ابراهيم صحراوي، ديوان القصة "منتخبات من القصة القصيرة الجزائرية"، ص123.

7-القضايا المعالجة في القصة القصيرة الجزائرية:

تمهيد:

عالج القصاصون الجزائريون موضوعات عدّة في كتاباتهم، بدءا بالموضوعات الوطنية (الإصلاحية و الاجتماعية) التي شغلت كتاب المحاولات الأولى وصولا إلى المواضيع الهامّة التي لا تزال في الساحة الأدبية و الفكرية الجزائرية و العربية، و منه فقد تنوعت المواضيع المطروقة تبعا لمراحل النّضج الفني للقصة القصيرة الجزائرية.

ز من خلال هذا فإنّ المواضيع التي عولجت قبل الثورة و أثناءها و بعدها يختلف باختلاف الأوضاع و الرؤى و الأهداف أيضا، و ذلك فإنّ اختيار الكاتب المواضيع التي يطرحها تكون حسب الظروف التي تعيشها الجزائر.

أ- موضوعات القصيرة القصة قبل الثورة:

من خلال هذه المرحلة اتسمت عموما بطابع روح الإصلاح، فكان كتّاب في هذه المرحلة ... اهتمامهم على أمراض المجتمع و عاداته و ما سببه الاستعمار من سلبيات على حياة الشعب، ففي هذه المرحلة اختار كتّاب المواضيع التي ارتبطت بالأفكار التي تدعوا إليه جمعية العلماء المسلمين، فقد عالجوا تعليم المرأة و زواجها على أساس التعليم، و حث على تعليم اللغة العربية، إذن تتدرج معظم هذه المواضيع ضمن المواضيع الاجتماعية التي تناولها كتّاب "المقال القصصي"و "الصورة القصصية".و نذكر بعض المواضيع التي تطرّق إليها القصاصون في هذه المرحلة نجد: "محاولات الاستعمار في التنقل في الشؤون الدين الإسلامي كتعيين الأئمة، و إرسال بعثات الحجاج

إلى البقاع المقدسة لكن ليس بغرض ديني بل لأغراض تخدم مصالحهم و من القصص التي تناولت هذا نجد قصتي "ابن عاشور" من حيث الحجاج في الدّكاكين، و حجاج في مقهى"[1] فالقصة الأولى تنتقد الحجاج الذين قاموا بالفريضة ليس من باب أنه الفريضة، وإنما من الذين قاموا بالفريضة ليس من باب أنها الفريضة، و غنما من باب المباهاة والافتخار والرّغبة في اكتساب النّسب، أما الثانية فيتقد الحجاج الذين لم يحترموا حجمهم، و لم يحاولوا أن يعطوا مثالا للافتداء بهم، كما أشار أيضا إلى ضرورة تعلم اللّغة العربية و كذا الوضع السياسي.

كما أيضا اتسمت كتابات "ابن عاشور" بالوعظ و الإرشاد، فهو بالغ التأثر بمبادئ الحركة الإصلاحية إلى درجة أنه يبدوا في كتاباته القصصية إصلاحي بحث.

بالإضافة، تعرض القصاصون إلى انتشار ظاهرة الطرقية و سلبياتها في المجتمع و هذا ما تجسد في قصة "الشيخ زروق" "لرضا حوحو"[2] فهذه القصة تركز على الجانب الإصلاحي "فشخصية زروق" هي شخصية متناقضة تشكك في صدق تدينه، فمثلما عرّض الكاتب لشخصية "الشيخ زروق" عرّض بالمجتمع الغافل و الجاهل لحقائق الدين الإسلامي فالأساس في هذا المجتمع المريض الذي لا أخلاق و لا عقل و لا دين و لا عاطفة لهم.

و تعد المواضيع الاجتماعية من الموضوعات التي استقطبت اهتمام الكتّاب الجزائريين والتي نجد منها: الفقر و عالجته زهور ونيسي في قصتها الأمينة[3] فتدور أحداث هذه القصة لطفل

---

[1]- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص310.
[2]- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص169.
[3]- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص312.

صغير الذي يعمل على مسح الأحذية، فقد تمنى الحصول على أحذية مثل التي كان يمسحها في الطريق للنّاس و هذا ممّا يدل على الفقر المدفع الذي يتخبط في المجتمع الجزائري، و كذا معالجة قضية استغلال الأطفال. و هذا ما نلاحظ أنّ الكاتبة تقوم على أسلوب الوعظ و الإرشاد.

أمّا عن موضوعات العاطفية أو موضوع الحب، فكان "لمحمد بن العابد الجيلالي" القدرة في معالجة في مثل هذه المواضيع في قصته "السّعادة البتراء"[1]. فقد تناول في هذه القصة عن موضوع الزواج المبني على أساس الحب و التعارف، فقد اختار لهذه القصة شخصية "محمد" و "سعاد" اللذان تعرفا منذ الطفولة، فقد نشأت بينهما علاقة توحت بالزواج.

فمن الميزات لعابد الجيلالي نجد أنّ في أعماله ذو طابع اجتماعي و إصلاحي.

و من بين الذين تناولوا موضوع الحب أيضا نجد "أحمد رضا حوحو" الذي ركز اهتمامه على مشاكل الحب و مما يبيّن توجيهه هذا قصصه الوراءة في المجموعة القصصية: "صاحبة الوحي" و منها أيضا "فتاة أحلامي، خولة، القبلة المشؤومة، صاحبة الوحي، سعفة خضراء"[2] حين تعرض للقلق و اليأس الذي انتاب شابا أنهى دراسته فوجد نفسه مضطرا للعودة إلى قرينه، دون هدف، فلقد أدخل "القاص" في هذه القصة متشعبة بالموضوع الثقافة و القلق و العادات و التقاليد و العواطف و الميول، و لاسيما موضوع الزواج و كل هذا ولدّ فيه كمثقف واع، و وضع المجتمع الذي يغص في الشعوذة و التقاليد.

1- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص307.
2- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري، ص183.

كما عالج بعض الكتّاب موضوع الهجرة من القرية إلى المدينة تحت ضغط الاستعمار مثل قصة "ومضة خاطفة"[1]، لعبد الرحمان مضوي، و هي تحكي قصة الشاب جزائري فقير يترك القرية هربا من البطالة إلى المدينة لعلّه يجد بها عملا، و لكنه يفشل في العثور عن العمل إلى أن يلتقي بامرأة فرنسية أبدت نحوه عطفا كاذبا و قَبِلَ العمل عندها كأجير، لكنه في النهاية يصطدم بتسلطها برفضها إعطاءه حقه كاملا، و عندما يقرر الانتقام منها بأن سيرق منها حقه فقط، و حين يهم بتنفيذ ذلك تكشف المرأة أمره و تموت ذعرا.

أما عن القصص التي تعالج موضوع الحب، و علاقة الرجل بالمرأة و الزواج، فإنها تشبه إلى تطرقنا إليه في السابق، من حيث المعالجة أو الشكل أو من حيث رسم الشخصية وأبعادها المختلفة، إنما هي أشبه ما تكون بحكايات تتحدث عن الحب نشأ بين شاب وزميله في العمل، فكلاهما خجول و من أسرة محافظة، و من بين القصص الأكثر تعبيرا عن هذا الاتجاه هي قصة "الثوب الأبيض" "لزهور ونيسي"[2] فمن خلال هذه القصة تعالج وضع المرأة حين تحرم من التعليم و تجبر على الزواج المبكر من شخص لا تعرفه و لا يتناسب معها والفكرة المحورية فيها تتحدث عن سيطرة الرجل زوجا كان أو أبا.

[1]- عبد الله خليفة الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، ص218.

[2]- المرجع نفسه ص222.

ب- موضوعات القصة أثناء الثورة:

ساهمت الثورة المجيدة في تطور القصة القصيرة الجزائرية إذ جعلتها من المواضيع والمضامين المستندة من الواقع الثوري، فقد كان للكتّاب إمكانيات ضخمة و تجارب جديدة إذ أصبح بطل القصة في هذه الفترة هو الإنسان البسيط المناضل و ليس للبطل النادر الخارج للعادة، و أصبحت للقصة تعالج حياة المجاهدين في الجيل و مشاركة المرأة في الثورة، وهذا ما أدى بالكتّاب إلى معالجة في هذه المواضيع، و مشاكل الإنسان و كما يعبر عن همومه و هكذا انحازت القصة القصيرة الجزائرية إلى الواقعية بعد اندلاع الثورة.

إذن فقد تحوّل ارتكاز القصة من مواضيع الحب و التقاليد و المرأة، إلى الارتكاز على مواضيع النّضل و الروح الجماعية التي سادت الثورة، و بالتالي فقد كان أسلوب القصة قبل الثورة يميل إلى أسلوب الوعظ و الإرشاد، ثم أصبحت القصة أثناء الثورة تميل إلى أسلوب والرّمز.

فمن بين كتّاب الذين تناولوا موضوع الثورة نجد "عبد الله ركيبي" في قصته "راع الغنم" و"أختار الطريق[1]"، الذي صور التفاف الجماهير حول المجاهدين و الثورة، فمن خلال هاتين القصتين بيّن الكاتب مدى حرص الشعب على المجاهدين الذين يدافعون عن الثورة.

[1]- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص330.

كما اهتم "أبو العيد دودو" بدور المرأة في مشاركتها في حرب التحرير في قصصه منها قصة "أم بطل"، حيث صورت القصة إلحاح امرأة على عودة ابنها من الغربة للمشاركة في تحرير بلاده من الاستعمار الفرنسي.

و في قصة أخرى "نسيمة تستشهد في المعركة"[1]، فعالجت هذه القصة فتاتان رفضتا الزواج من أجل الالتحاق بصفوف جيش التحرير، و الماركة في الثورة المجيدة. و هذا يدل على أنّ المرأة كانت حريصة على قوة شجاعتها و عدم اكتراث المرأة بحياتها الشخصية مقابل الدفاع عن الوطن.

و هناك أيضا القصص التي تناولت موضوع الخيانة و مولاة الاستعمار منها قصة "نضال" "لأبي العيد دودو" تروي أحداث قتل ابن أباه الخائن للذّود عن الوطن.

كما تناول أيضا "المسعود" هذا الموضوع في قصته "لماذا أعدم الميسيو جيرار"[2] إلى جانب هذه القصص المذكورة أعلاه، نجد أنّ العديد من القصص التي تناولت الثورة بكل جوانبها فمعظم الكتّاب يستمدون مواضيعهم إلى هذا الجانب أي الثورة و هكذا إذن طغى المضمون الثوري في الكتابات القصصية.

---

[1]- عايدة أديب بامية ، تطور الأدب القصصي الجزائري، ص330.

[2]- المرجع نفسه، ص33.

ج – موضوعات القصة القصيرة بعد الاستقلال:

لقد امتدت مواضيع الثورة إلى ما بعد الاستقلال، فكانت أغلب المجموعات القصصية التي صدرت بعد الاستقلال يدور موضوعاتها و مضامينها و شخصياتها حول المرأة مثل: "بحيرة الزيتون" "لأبي العيد دودو" و "الرّصيف النائم" "لزهور ونيسي" و "دقت الساعة للبهي فضلاء"، و" طعنات" "للطاهر وطار"..[1] فقصة "بحيرة الزيتون" "لأبي العيد دودو" فبعض قصصها كتبت أثناء الثورة، و البغض الآخر بعدها، و لكن أحداثها تستقي من الثورة وتصور حرب التحرير بأبطالها و أحداثها و شخصياتها.

و تدور قصة "الرّصيف النائم" حول الموضوع نفسه، و لكنها ترتكز أكثر على دور المرأة فيها منها المثقفة أو أمية، و منها أيضا المرأة في الريف أو في المدينة، جندية في جيش التحرير أو مسؤولة في جبهة التحرير، أو موضوعات "دقت الساعة" لا تخرج عن الإطار نفسه و معظم شخصياتها مناضلون فيها، أما "الطعنات" لطاهر وطار فإنّ بعضها يتصل بالثورة و البعض الآخر ما بعد الاستقلال.

[1]- عبد الله خليفة الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974، ص213.

الفصل الثاني

1 - نبذة عامة عن حياة أحمد رضا حوحو:

يعتبر أحمد رضا حوحو من الرواد الأوائل في كتابة القصة الحديثة ولد في 15 ديسمبر 1910 بسيدي عقبة، و قد عرف عن حوحو الجرأة و الصراحة و الدّعوة إلى التمسك بالشخصية الوطنية في الوقت الذي عمل فيه المستعمر على فرض اللغة الفرنسية على الساحة الجزائرية.

و لما بلغ في السادس من عمره التحق بالمدرسة و هو في سنّ مبكّر، ثم أرسله والده إلى سكيكدة بعد نجاحه في الابتدائية ليكمل دراسته في الأهلية عام 1928. و لم يتمكن من متابعة تعليمه الثانوي نتيجة السياسة الفرنسية التي تمنع أبناء الجزائر من مواصلة تعليمهم ليعود حوحو إلى الجنوب و يشتغل في التليغراف بمصلحة بريد بسيدي عقبة، و هذا ما زاده بمعرفة أسرار الحياة فكان يلاحظ الفرق البارز بين البيئتين مختلفتين بيئة صحراوية قروية وأخرى حضرية.

و في سنة 1934 تزوج أحمد و بعدها هاجر بصحبة أفراد أسرته إلى الحجاز، و ما إن استقر به المقام بالمدينة المنور حتى التحق بكلية الشريعة لإتمام دراسته، و في سنة 1937 نشرت له مجلة "الرابطة العربية" أول مقال بعنوان "الطرقية في خدمة الاستعمار". بعد ذلك انتقل إلى مكة و هناك اشتغل موظفا في مصلحة البرق و الهاتف بالقسم الدولي، و استمر في هذه الوظيفة إلى أن عاد إلى الجزائر سنة 1946. و بعد عودته إلى الوطن انضم إلى جمعية العلماء المسلمين فأصبح عضوا فعّالا فيها. و في سنة 1948 انتخب

عضوا في المجلس الاداري لجمعية 37 العلماء المسلمين الجزائريين، و في سنة 1949 قام بإنشاء المزهر القسنطيني من خلالها كان يعرض مسرحية مثل "ملكة غرناطة"، "بائعة الورود" "البخيل" و تولى رئاسة تحريرها و في نفس سنة أسس مع جماعة أصدقائه جريدة "الشعلة" كما كانت له ترجمات للأدب الفرنسي دون أن نغفل جانبا مهما في نشاطه الفكري يتمثل في القصص القصيرة حيث يعتبر أحمد رضا حوحو رائد القصة القصيرة، فنذكر بعض القصص منها: "يأفل نجم الأدب"، "حمار الحكيم" في سنة 1955 نشر مجموعاته القصصية نماذج بشرية ضمن سلسة كتاب "البعث التونسية" و ظل حوحو يمارس عمله بمعهد ابن باديس وفي عام 1956 اعتقل حوحو من منزله ومنه حوّل إلى جبل الوحش المشرف على مدينة قسنطينة.

يرى البعض أن أحمد رضا حوحو يتميز بالخفة و الصدق و الانتقاد و يرد النقاد أثر حوحو غلى التجديد في الشكل و المضمون و قوة التأثير، فكل ما كتبه أديبنا يتمثل عن موضوع الصراع إذ يسجل من خلال الحدث في تفاصله المختلفة مهما تداخلت أزمته في مستوياتها الفكرية و الاجتماعية، و هذا ما يجعل القصة تتحول إلى وثيقة تحمل من خلالها الأسرار والأجوبة و التحليل المنطقي الكثير، فأغلبية ما كتبه الأديب و الناقد الاجتماعي البارع للأحمد رضا حوحو لم يكن مجرد نص أدبي، فالعملية بالنسبة إليه هو عمل ذو دلالات توفقية هامة تحتاجها الأجيال لتتحمل مسؤوليتها على أكمل وجه.

و تعتبر قصة غادة أم القرى من ارهاصاته الأولى لأعماله الأدبية. فهي طبعت 1947 بالجزائر و هي تتناول من خلالها قصية اجتماعية.

2 – إشكالية حول غادة أم القرى "هل هي قصة أم رواية":

كان أهم ما قدمه رضا حوحو للأدب السردي غادة أم القرى التي ظهرت في الأربعينات من القرن العشرين. و يبقى السؤال مطروحا حول تصنيف هذا العمل بين القصة والرواية و يبدو أحمد منور في تقديمه للطبعة الثانية حذرا في الحكم على هذا العمل، فقد فضل أن يترك هذا الحكم للدارسين و القراء، و لكنه أشار إلى أنه في حالة اعتبار هذا العمل رواية فإن ذلك يشهد على ميلاد الرواية الجزائرية في الأربعينات، و قد عد الأعرج وسني غادة أم القرى أول عمل روائي مكتوب بالعربية في الجزائر و قال عنها إنها ظهرت "كتعبير عن تبلور الوعي الجماهير بالرغم من أفاقها المحدودة".

و إذ كانت غادة أم القرى كما يدل على ذلك عنوانها تعالج قضية المرأة في مكة حيث تعني كلمة "غادة" الفتاة الحسناء و أم القرى هي مكة، فإنها تصدق بنفس الدرجة على المرأة في الجزائر، و قد أهدى المؤلف هذا العمل للمرأة الجزائرية قائلا: "إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب ... من نعمة العلم ... من نعمة الحرية ... إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية و سلوى". فأول شيء حرمت منه المرأة الجزائرية كما حرمت منه المرأة المكية من الحب، و هذا الحرمان هو ما يقابلنا في الرواية من خلال تصوير معاناة زكية.

3- تلخيص القصة:

تعد قصة "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو من أهم مؤلفاته التي تناول فيها قضية المرأة المتمثلة في الفتاة زكية فهي تعد بطلة الرواية، و في أم جميل التي انقطعت فيها الأسباب فضعفت حيلتها، و لم تجد مخرجا لإنقاذ ابنها من السّجن، و من التهمة التي ألحقت به ذلك أن قصة حب نشأت بين زكية و جميل و سوء الحظ لم تتمكن من الزواج به و يعود السبب إلى غلبة التقاليد أولا، و طموح أسعد ليتزوج لابنه رؤوف، و هو رجل خبيث ذو جاه و مال فألحق تهمة السكر و الاعتداء بجميل و شاهدوا بشاهدة الزور عليه و من ثم أصيبت زكية بصدمة عصبية عنيفة أدت بها إلى الجنون، ثم ماتت على إثر ذلك و مات أيضا جميل في سجنه.

و القصة تتعمد التساؤل حول سيطرة التقاليد و غلبتها فلا تتمكن الفتاة من رؤية خطيبها ولا محادثته و بعدها أقبل عامة الناس على السحر و الشعوذة بحثا عن العلاج حين أصيبت زكية بالانهيار، فمنذ أن أصيبت هذه الأخير أصبح دار سليمان ميدانا واسعا بالدجالين والسحرة، ضمن قائل: "إنها مسحورة و من المؤكد أن ما بها هو مس الجن، ولم تجد التمائم العديدة و الذبائح الكثيرة، لولا الجن و ملوكهم، و ماذا عسى أن يفعل ملك الجن الضعيف امام سلطان الحب الجبار".(1)

---

(1) أحمد رضا حوحو . غادة أم القرى . ص 50

لكن البطلة "زكية" لا تنجو من توترها النفسي الذي وقعت في و أدى بها شيء قاسي أو رواج زكية بمحسن في رواية "لا تقل وداعا" لسيف الدين عاشور ... فلماذا لم يجعل حوحو من البطل (جميل) منقذا في قصة غادة أم قرى فيسجن البطل طويلا و لا يخرج إلا على خبر وفاة حبيبته، و هي انتصرت للخير و ألقت برؤوف سعد في السجن في الصفحة الأخيرة من الرواية أبعد عن التفاؤل و أقرب إلى تصوير المجتمع المكي الذي بقي محافظ على التقاليد و تجبرها الفتاة اليانعة التي لم تنل حظا من التعليم و استسلام المجتمع وشهوته للمال و ربما جاءت سلبيتها من جهلها و عدم تعلمها و فشلها في المشاركة الاجتماعية وفقدان العقل خير ما يعبر عن كل هذه السوءات ، و بما أن العالم من حولها ليس عاقلا فلماذا تحتفظ بعقلها دون أن يحترمه و يفيد منه حوله، و إن كنا نلوم حوحو على ضعف بطلته و هذا ما بدأ من انقاذ لأسرة سليمان خليل من الملك عبد العزيز آل سعود –رحمه الله– حين اشتكت إليه أم جميل و نلتمس عذرا في غاية الشرف والكاتب هنا يصف مشهدا رآه في الواقع مرات عديدة التي يرمي إليها بانزاله أكبر قدر من الألم في نفوس قارئيه حين يطوق الظلم جوانب الحياة، و من هنا صور أحمد رضا حوحو نمطية الحياة الاجتماعية في مكة، و حمل على رؤية المجتمع للمرأة أنذاك، تلك الرؤية التي تذهب إلى عزل المرأة، ثم عرض لفساد الطبائع و خضوع النفوس لشهوة المال، واستذلال الفقير، فقد توسع في نقل دقائق الحياة الاجتماعية في مكة و قدم لنا وصفا بارعا للتعليم و العمل و المعتقدات والتدين، و الخطوبة و تعليم المرأة، و الفصل الحاد بين الجنسين الرجل و المرأة فإن المرأة لا تبدي رأيا بل تتلقى، أو ترغم على قبول خيار الأهل لأنها مسلوبة الإرادة.

4- مضمون القصة:

بعد قراءتنا للقصة وجدنا أنّ القصة تتناول قضية المرأة العربية في الحجاز و ما تعانيه من حرمان في الحب و العطف و العلم و رفاهية الحياة، فقد اختار حوحو هذه القصة لكي يهديها إلى المرأة العربية في الجزائر التي لا تختلف عنها في أوضاعها، فهذه القصة إن لم تكن واقعية بأحداثها و شخصياتها فإنها مستوحاة من عالم محسوس في ذلك الوسط المحبوس في تقاليده و أعرافه المتوارثة من أحط عصور الجاهلية و الجمود خاصة أديبنا أمضى جزء من شبابه لهذا الوسط.

فإذا تمعننا النظر من خلال كتاباته سنجد أن موضوعها تدور حول محاولة إصلاح بعض العادات الفاسدة المتواطئ عليها من طرف الشعب، و الثورة على واقع كبله الجهل والخرافة و أمور أعاقت العقل العربي، و أماتت فيه سمة الإبداع.

فمن خلال هذه القصة صوّر لنا الأديب معاناة المرأة الحجازية و لفت الأنظار إلى المرأة الجزائرية بأنها معنية بهذا الأمر يهّمشها خارج دينها، لكونها تعاني نفس معاناة المرأة الحجازية لوجود المشترك الجامع بينهما و هو حرمانها من حقوقها، و هذا يدل على أنّ الجهل الذي كان سائدا في بلاد الحجاز ليس له أيّ علاقة بالإسلام الذي أعطى للمرأة كامل حقوقها، كما يدّل على أنّ الاحتلال الفرنسي للجزائر هو من عمل على توظيف الجهل على المجتمع الجزائري الذي غرس فيه الأمية الثقافية و الحضارية قصد تنويمه وإدخاله في سراديب مظلمة من الجهل، كما تناول أيضا عن دور كل من رجل و المرأة، و هي صورة قاتمة تشوّه مقاصد الإسلام و شرائعه، و هذا ما ساهم في رسم صورة غير صحيحة عن الإسلام، بحيث صار المتعارف عليه بين الناس هو ما لم يأت به الدين الإسلامي، و هي الحال نفسها التي كان عليها المجتمع الجزائري أثناء الاحتلال الفرنسي، و مازالت قائمة حتى الآن كارث فرنسي، فلم يتحرر منه المجتمع الجزائري إلى يومنا هذا فلذلك كانت قصة "غادة أم القرى" مهداة إلى بنت الجزائر حيث خاطبها قائلا: "إلى تلك التي تعيش محرومة من الحب.. من نعمة العلم.. من نعمة الحرية، إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود غلى المرأة الجزائرية، أقدّم هذه القصة تعزية و سلوى".

و مجمل القول يمكن أن نقول بأنّ القصة "غادة أم القرى" بحاجة إلى دراسات تتضح فيها

أبعاد الكاتب من وراء تأليفه لها، و هو عقد مقارنة بين ما كانت عليه المرأة المسلمة في عصور الإسلام الذّهبية، و ما جرّته إليها تعاليم الجهل التي غزت العالم الإسلامي بعد الضعف الذي اصطحب معه كل ألوان التخلّف.

5- المرأة تحت هيمنة السلطة:

تتخذ المرأة أدورا عديدة في الحياة، فالمرأة تكون فتاة في البيت على شاكلة أخت أو بنت، ثم تنتقل لبيت زوجها سعيدة، لتكون أمّا تصنع أجيال المستقبل، فكرّست المرأة حياتها لخدمة بيتها و زجها و أولادها، فكانت أساس المجتمع الذي بها و من خلالها فقط يكون المجتمع راقيا أو مجتمعا منحطا. "هذه المرأة الصادقة النقية ... لا يمكن أن تكون غبية ... إن شعاعا فريدا دخل أعماقها فاستيقظت على هبوب الأنسام الحية الجديدة ... هي في عملها الصامت تنفع المجتمع الإنساني"[1].

و عادة ما تحتقر المرأة في مجتمعنا، و لا تعطي لها القيمة التي تستحقها و المكانة التي تنتظرها، بالنظر إلى تضحياتها على مدار حياتها، فتكون في بيت أبيها فتاة تقوم على خدمة والديها و إخوتها لتكون زوجة تعمل على إرضاء و آل بيتها، هذا إن لم تكن تعمل خارج البيت أيضا فتكون المسؤولية عليها أكبر، و الضغط يزداد كلّما زاد عدد الأولاد، فالمسؤولية تكبر و تصبح بذلك في حاجة لمساعدة زوجها خاصّة، لتحقيق التوازن الأسري. و سوف ندرس صورة المرأة من خلال موقعها الأسري. و سنركز على أمور التالي: فتاة قبل الزواج المرأة الزوجة، المرأة كأم.

[1]- زليخا السعودي، الآثار الأدبية الكاملة، جمع و نقد، شريبط أحمد شريبط، الجزائر، 2001، 269.

5-1 فتاة قبل الزواج (كبنت):

إذا حاولنا أن نستقر تاريخ المجتمعات من خلال الناحية الاجتماعية و النفسية، فإننا سنجد أنّ مركز البنت في الأسرة ضعيف مشوب بالكثير من الدونية، فالبنت قد كفل لها الإسلام من الحقوق ما يهيأ لها من حياة كريمة، فقد دعا غلى رعايتها و العطف عليها، و كذلك المرأة في نظر المجتمع ضلع قصير تحتاج إلى وصاية و بالتالي فهي وديعة يجب إلزامها وهم يعتبرون أنّ زواج البنت سترة "و ها هي اليوم بلغت الثامنة عشر من عمرها فحجزوها بين جدران الدار و منعوها من الظهور أمام "جميل" أو التحدث إليه منذ عدة سنوات"[1] و هذا دليل على أنّ "زكية" لا تستطيع أن تقوم العلاقة مع "جميل" و ذلك نظرا لسترتها و لأنّ الأسرة أو المجتمع دائما يخاف أن تجلب له العار، و هذا ما نجده مثلا في بعض القبائل العربية بأنّ الفتاة نذير الشؤم للذي بشّر بها، فهو لا يعلم ماذا يفعل بها، هل سيربيها على الرغم من أنها فتاة، أم سيقوم بدفنها و هي حيّة، فما ذنبها إن كانت فتاة و في هذا الصدد يقول الله عزّ و جل: "و يجعلون لله البنات سبحانه و لهم ما يشتهون و غدا بشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودا و هو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون"[2] و يقول أيضا "و إذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت"[3] و لكن على نقيض هذا فقد أولى رضا حوحو اهتماما كبيرا بالفتاة، بحيث

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص19.

[2]- سورة النحل، الآيات 56،57،58.

[3]- سورة التكوير، الآية 06.

صور لنا الفتاة بمظهر البراءة و السذاجة التي تتميز بها فتيات في المدينة الحجازية و من بينهن "زكية" فقد صور لنا من خلال هذه القصة أنّ الفتاة "زكية" كانت مستلبة و ضعيفة أمام سلطة العادات و التقاليد، فزكية عاشت حالة من اليأس والإحباط، و ذلك عندما تعلقت بحب جميل و لكنها في المقابل كانت تعيش في أحضان المحافظة و التقاليد و بذلك لم يكن لها من حل سوى الاستسلام "و تلقت أول الأمر هذا النبأ بعدم الاهتمام، و ربما سرها أنها أصبحت امرأة، و رأت أنّ لا حرج في تنفيذ هذا الحكم و لكن سرعان ما أحست بفراغ شديد في حياتها و أصبحت شديدة الاكتئاب من دون أن تعلم لذلك سببا و كل ما تعلمه أنها ما تفتأ نفسها تفكر في جميل"[1] و لهذا كانت "زكية" بمثابة أختا و بنتا، لأنّ دائما تكون مستعدة للمساعدة و لا تبخل بأيّ شيء، فالفتاة يكون أخوتها و والدها أعز ما تملك، فعندما تغيب الأم عن المنزل، فإنّ الفتاة هي التي تقوم على خدمة في المنزل "و فعلا لم يكن بالدار أحد سواها فقد خرجت والدتها و أختها الكبرى، تصحبها الجارة غلى بيت خالتها فاطمة الكائنة في الناحية السفلى من مكة و كذلك أشعرها والدها منذ الصباح أنه مدعو للغذاء عند أحد أصدقائه" و ربما عن حسن نية يقودنا إلى المقولة المتخلفة التي تلح على فكرة أنّ المرأة لم تخلق لشيء سوى البيت، أي أنّ وظيفتها التاريخية تتحدد بأمومتها. و رضا حوحو في ذلك كله أمين جدا للإيديولوجية الدينية التي تحكم مختلف تصوراته الفكرية، و تتحول زكية في نهاية الأمر إلى مجرد دمية أو قطعة كريستال ثمينة توضع في البيت لإثارة فضول

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص19.

الزوار والضيوف، ممنوعة من التنفس خارج الحدود التي سطرها لها الكاتب من قبل و المحصلة النهائية أنّ زكية تتحوّل إلى جزء من أملاك البيت.

5-2 المرأة كأم:

الأم هي أهم منشأ للراحة و المحبة في العائلة و أقوى مصدر لسعادتها، فهي التي تبعث الطمأنينة و السلام و الاستقلال في نفوس الأطفال، إن هدف الأمومة من الأهداف السامية التي وضعت على عاتق المرأة، و هي بلا منازع مظهر من مظاهر اللطف و العناية والمحبة للطفل، و هذا ما نجده في قصة غادة أم القرى عندما وصل الخبر للأم جميل عن مقتل إبنه "و غدت تجري من مكان إلى مكان لتستنجد بسراة القوم و ذوي الجاه و السطوة ولكن من يلتفت إليها أو يستمع إلى أنات قلبها الجريح أو يرثي لأمومتها المعذبة"[1].

الأم مدرسة الأجيال، فهي التي تقوم بزرع الصفات الطيبة في الطفل و تهدي كل ما لديها ليكون في المستقبل رجلا مهما في المجتمع، و نستنتج أن عمل الأم عظيم و شريف و ليس هناك أعظم و اشرف من عمل الأم على وجه الأرض، إذن نستطيع القول غن الولادة عمل سهل إلا أن الصعوبة تكمن في أن تكون المرأة أمّا، فكي تكون المرأة أمّا، عليها أن تتحمل المسؤوليات التربوية و الأخلاقية و الروحية، يجب على الأم أن تربي أولادا شرفاء يفيدون المجتمع و الوطن، يجب أن تعلم أولادها على تحمل المسؤولية و أن تقوم الأم بالدفاع عن أولادها و هذا ما نجده في قصة غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو في قوله "و هكذا وقع

(1) أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص46.

(2) م ن.ص 52

لهذه المرأة المسكينة التي طلبت الإفراج عن ابنها، و إذا بها تمنح نقودا، و رجعت المرأة كسيرة البال حزينة القلب محطمة الجسم، فقد قطعت ما يزيد على ثلاثة أميال حتى وصلت إلى القصر الملكي لتنقذ ابنها".(2)

للأم في الحياة دور كبير على الرغم من كل شيء إلا أنه با أحد يجهل اليوم حقيقة المرأة لا تنجب لوحدها، كما أن الإنجاب عملية بيولوجية بين الرجل و المرأة لكن غالبا ما تربط البنية الثقافية المرأة بوظيفة الإنجاب، و تحتفظ الأم بمنزلة رفيعة لدى الرجل، لأنهم يرون فيها مصنعا لتزويدهم بالشباب، و لهذا كانت الأم أكرم ما تكون لديهم عندما تكون ولدا، وحب المرأة لابنها لا يضاهيه حب آخر لأنها ثمارتها و بضع منها و لأنها تجد في حياتهم حياتها مكررة، و شخصياتها باقية نهي ترى مباهج الحياة كلها في طفلها و الواقع أن هذا الوقف يناقض أنانية الرجل الذي يسعى إلى إرضاء رغبته في الأبوة و لذلك يقال نظرا لقيمة الأم فإذا فقدت الأم سواء للبنت أو الولد فإنه سيفقد حتما الصدر الحنون.

---

[1] غادة أم القرى، ص52،53.

5-3 المرأة كزوجة:

للمرأة في المجتمع وظائف عديدة و مهمة، عليها مراعاتها بدقة متناهية إن البحوث والدارسات التي تؤكد على تحريك المرأة للمطالبة بحقوقها المشروعة، فإنها ستمنعها من القيام بوظائف التي سنها العقل و العرف الاجتماعي و سنجد هذا في قصة غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو في قوله "يحاول كل منهما أن يجذب المرأة الحجازية إليه و يدفعها في الطريق التي يريدها، فكرة تتمثل في هذه السواد الأعظم من الشعب الحجازي، يسير على هدى من عاداته و يحرص على تقاليده، يحتقر المرأة و ينالها بنظرته و جهله ... و لا يطيق أن يراها تطالب بحقوقها و تدفع عن نفسها".(1)

و إن خير تعريف للمرأة "و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" فالمرأة بالإضافة إلى كونها زوجة لزوجها فهي عشيقته تذوب في حبه، و تحاول بكل الوسائل الممكنة أن تغرس حبها بقلبه وأن تطيع زوجها في حل المسائل و المشاكل المعقدة التي تحتاج إلى حكمة و تدبير و هذا ما نجده في هذا الصدد لأحمد رضا حوحو "تزوج سليمان منذ سنين خلت بفتاة رائعة الجمال من "البيوتات" كما يقول مواطنوه، و هي الأسرة القديمة المحافظة، رزق منها بنتين أسمى وزكية اعتنت والدتها تربية دينية".(2)

---

[1] غادة أم القرى، ص09.

2 م ن . ص23

و يتضح مما سبق الدور الأساسي الذي تقوم به المرأة الذي يعترف به المجتمع التقليدي ويقربه و يحرص عليه، و هو دور إعادة الإنتاج، ليس فقط إعادة إنتاج الحياة و إنما إعادة إنتاج الثقافة.

4-5 علاقة المرأة بالرجل:

إذا تتبعنا عن مدى تاريخ العصور تلك العلاقة بين المرأة و الرجل فإننا نرى أن المرأة تشغل ذهن الرجل و في هذا الصدد يقول رضا حوحو "و كان هذا الشاب الذي أخذ بمجامع قلب زكية يسعى في الشارع على عجل في اتجاه الناحية العليا لأبطح و استطاعت الفتاة أن تنفذ ببصرها الحاد إلى جميع ملامحه".

ظلت المرأة كشبح الجاثم على فكره، لا يستطيع طرده و لا الفرار منه مما يدل على أن الرجل لم يتخلص أبدا من تعلقه بالمرأة و هذا ما نجده في قصة غادة أم القرى لرضا حوحو "و رفع الشاب بصره إلى الشباك و ابتسمت زكية من وراء مخبئها و قفل هذا راجعا من حيث أتى، و الفتاة تودعه بنظراتها من بعد و هي تردد ما بين شفتيها اسمه كأنها تتلو تسبيحة مقدسة ...".

إن العلاقة بين المرأة و الرجل علاقة تكاملية حيث يسد كل واحد منهما نقص الأخر في بناء المجتمع، و فكرة الصراع بين المرأة و الرجل انتهت بتسلط الرجل على المرأة كما في بعض المجتمعات. خروج المرأة عن طبيعتها التي خلقت من أجلها و هي المكوث في البيت، لا أحد ينكر مدى تأثير البيئة و المجتمع و العادات و التقاليد التي تحيط بالمرأة، و إن كان الرجل أكثر تحركا و حرية من المرأة و أن العلاقة بين الرجل و المرأة قائمة على

أساس التكامل و الحب لقد شرع الإسلام الزواج بين الرجل و المرأة و حث عليه لما في ذلك تحصين المجتمع الناشئ و إبعاده عن الرذيلة و الفواحش فقال الله تعالى: "و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" فلم يكن يؤخذ كثيرا برأي المرأة في الزواج طالما الأب أو سيد العشيرة سيفصل نهائيا في المسألة بقبول أو رفض الطلب و هذا ما نجده في قصة غادة أم القرى "يا شيخ سليمان ... لقد تشرفنا بزيارتك، و قد جئناك خاطبين في الحسبة و النسبة ابنتك لابني رؤوف، و قد أردنا مصاهرتك و لا أظنك ترفض مصاهرتنا".

و أن المرأة الحجازية ليس لديها حرية في اختيار الزوج الذي تريده و أن والدها هو الذي يفرض السيطرة على من يريده زوجا لابنته و كل هذا يعود إلى العادات و التقاليد و نجد أحمد رضا حوحو يقول: "و ها هي اليوم بلغت الثامنة عشر من عمرها فحجزها بين جدران الدار و منعوها من الظهور أمام جميل أو التحدث إليه منذ عدة سنوات، و غنها لتتذكر أول مرة نهتها والدتها من الظهور أمامه و حذرها أبوها من الاتصال به أو التحدث إليه لأنها أصبحت امرأة".

و أن علاقة بين الرجل و المرأة في قصة غادة أم القرى علاقة تكاملية.

[1] غادة أم القرى ص19.

[1] غادة أم القرى ص32.

6- صورة المرأة من خلال موقعها الأسري:

1-علاقة زكية مع أمها:

من خلال قراءتنا لقصة غادة أم القرى هناك الشخصية الرئيسية فيها "زكية" و كانت علاقتها مع أمها عادية و متمردة و لم تكن علاقة وطيدة بينهما و هذا ما نجده في قصة غادة أم القرى "كانت زكية منهمكة في أعمالها اليدوية يحوطها سكون شامل عميق فلا ترى حولها حركة على حركات إبرتها و هي تنتقل بخفة فوق متن قطعة القماش الحريرية ابيضاء المثبتة على قوائم منسجها الخشبي".

2-علاقة زكية مع أبيها:

كانت علاقة زكية مع أبيها علاقة وطيدة و كانت تحترمه من خلال الأوامر التي يفرضها عليها و كان شديد الحرص على ابنته من خلال مكوثها في البيت و عدم الاختلاط بالرجال و الحفاظ على العادات و التقاليد و كان يعاملها بطريقة حسنة و الخوف عليها خاصة بعد مرضها و نجد هذا في قصة أحمد رضا حوحو "و سألها والدها زكية كيف حالك ثم لمس أبوها جبينها براحة الهزيلة المرتجفة فألقاه باردا مثلجا ... و حدق في عينيها فوجدهما جامدتين، و تحسس أنفاسها و إذا بها قد انقطعت ... فصاح: لا حول و لا قوة إلا بالله وغدا يبكي كطفل...".

---

[1] غادة أم القرى ص14.

[1] نفس المرجع، ص66.

3-علاقة زكية مع أختها:

تتمثل علاقة زكية مع أختها علاقة مليئة بالذكريات الجميلة و هي ذكريات الطفولة البريئة الحرة التي لا تخضع لنظام و لا تعترف بحكم و كانت علاقتهما على الاحترام التبادل بينهما و هذا ما نجده في قصة غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو "و هي طفلة في عامه الثامن تلعب في فناء الدار مع أختها أسمى التي تكبرها بسنتين و تذكرت المشاجرات العنيفة التي كانت تثور بينهما و بينه و هو يحاول أن يفرض عليهما سيطرته فتستسلم أسمى ...".[1]

[1] غادة أم الفرى، ص18.جح

7-المرأة و الثالوث المحرم:

8-1 المرأة و الحرية:

إنّ المرأة العربية بشكل عام مازالت تكابد ما عانته بنات جنسها منذ العصور القديمة لانتزاع حريتها، و إلى غاية اليوم بقيت مسألة حرية المرأة تعبر عن إشكالية الحرية في المجتمع ككل، و من بين تلك النّساء اللّواتي عانين من أهدر حريتهن نجد المرأة الحجازية التي تكلم عنها "رضا حوحو" من خلال قصته "غادة أم القرى" و من خلال ذلك نجده يتحدث عنها إذ يقول: "و كأنّ الحديث عن المرأة الحجازية يتصل اليّوم بطرفين متباعدين سار أحدهما حتى أمعن في الماضي السحيق و تقدم ثانيهما حتى اتصل بروح الاستهتار و الخلاعة في هذا العصر"[1]. و لكن هذه المرأة مقيدة ببعض التقاليد و منه يقول: "اعتنت والدتها بتربيتها تربية دينية قوية، و لكنها شديدة الغلة فاكتفت بتلقينها بالخياطة و التطريز، و أمّا القراءة و الكتابة فلا تزالان سرا غامضا بالنسبة إليهما"[2].

إذن فأساس حياتنا الاجتماعي هي الحرية التّي تعدّ من أثمن ما يملكه الإنسان و ما يسعى إلى تحقيقه، لأنّ حياة الإنسان مرتبطة بالضرورات التي يتطلبها و تتجلى في ذلك في الرّغبة عن التخلص من القيود، لأنّ السعادة هي وسيلة من اجل غاية الإنسان. فرضا حوحو اهتم إلى هذه القصة إذ أنه يريد أن يقول لأنّ المرأة مهما اجتهدت في حياتها وتفوقت فإنّها لن نفرّ أبدا من قدرها المحترم و هو البقاء في البيت أو الزواج و تربية الأولاد، فهذا هو مصير المرأة في الأخير، و بالعودة إلى الآثار الأدبية الكاملة للأديبة الجزائرية لزليخا السعودي

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص10.

[2]- م.ن، ص24.

نجدها في قولها: "أجل يجب أن تكون المرأة حرة ... أن تتقدم ... أن تكون مثل الأوروبية تماما ... أو أفضل منها ... ماذا ينقصنا نحن لنكون مثلها ... إنّ أدمغة رجال مازالت في حاجة إلى ضربات أخرى حتى تعترف بحقوقنا ..."[1]

إذن فالحرية مشكلة حيوية لا تكاد تنفصل عن الوجود الانساني نفسه، لأنّ هذه الحرية هي من حقه فالمرأة مثلا لها حرية التعبير عن رأيها و حرية ممارسة هويتها المفضلة، و لكن المرأة الحجازية لم تعد تصوّر حياتها كما تريد هي بل تمردت على أوضاعها الاجتماعية وثارت على التقاليد الدينية إذ يقول حوحو: "فكرة تتمثل في هذا السواد الأعظم من الشعب الحجازي يسير على هدى من عاداته و يحرص على تقاليده، يحتقر المرأة و ينالها بغطرسته و جهله، و لا يطيق أن يراها تطالب بحقوقها و تدفع عن نفسها"[2].

و عليه فإنّ للحرية هي الوسيلة العظمى في اسعاد الناس و تحقيق سعادتهم التي يناضلون باستمرار للانتقال بها من حالة إلى حالة أخرى أكثر رقيا و تطورا و هذا الصدد نجد في قول زليخا " تشارك المخلصات في تمثيل المرأة ... و تقف في كل مجال معارضة لهن .. فنّ للحرية حدودا و هي لا تمنح إلاّ لمن يستحقها ... لمن ينفع لها الآخرين و يسير في الطريق المرسوم لكل الشرفاء العاملين"[3].

فكان لظهور "غادة أم القرى" في تلك الفترة حدثا أدبيا هاما، ففي تلك الفترة كانت المرأة مقيدة بقيوم لا ينفذ من خلالها الهواء، فصورة "زكية" التي تذهب ضحية التقاليد

[1]- زليخا السعودي، جمع و نقد شريبط أحمد شريبط، الطبعة الأولى، الجزائر، 2001، ص259.
[2]- غادة أم القرى ص09.
[3]- زليخا السعودي، جمع و نقد شريبط أحمد شريبط، الطبعة الأولى، الجزائر، 2001، ص260.

والرجعية الخانقة شبهها بصورة الفتاة الجزائرية بأكملها فأحداث القصة جرت في الأراضي المقدسة و اكتفى بالإهداء الموحى إلى المرأة الجزائرية المعذبة من نور العلم والحب و الحرية أهداها إلى المرأة الجزائرية في قوله: "إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب ... من نعمة العلا ... من نعمر الحرية ... إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدم هذه القصة تعزية و سلوى"[1].

فمن خلال هذا تظهر مأساة للمرأة الحجازية التي تعاني من شدة فقرها لحريتها و على صعيد هذا نجد الأديب يقول: "لم يكن شأنها من الحرمان و الجهل أقل مما يعاني الحجاز"[2].

7-2 المرأة و الحب:

يعدّ الحبّ أهمية كبيرة في نفسية كل شخص، فالحب إذن هو حالة نفسية تحس و لا توصف، نجده عند العرب مرادفا: "النبل و الارتقاء في نفس العربي، و آية تفوقه في فهم العواطف الإنسانية، و السمو بها إلى لا يبلغها إلاّ أصحاب الأفئدة النظيفة و الهمم العالية"[3].

فالحبّ في البيئة الحجازية تعتبر جريمة لا تغتفر لهذا نجد أنّ "زكية" مقيدة بهذا الشأن وليس لديها في اختيار لمن تحب لهذا وجدت نفسها تعيش في حياة مأساوية و تعيسة و في هذا الصدد يقول أحمد رضا حوحو: "و يا ويل الشقية منهن التي بطأ قلبها الحب فإنها

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص03.
[2]- م.ن، ص08.
[3]- صالح مفقودة، تقنية الدّراسة في الرواية (2) العلاقات الانسانية، دار الكتاب العربي، الجزائر، أفريل، 2001، ص144.

تعيش معذبة تعيسة، فليس لها أن تتحكم في قلبها فتحب من تشاء و تبغض من تشاء، بل لا يجوز لها مطلقا أن نحب، فالحب جريمة لا تغفر و فضيحة شنيعة، فعلى الفتاة التي أصيبت بالحب أن تتستر تتكتم ما أمكنها ذلك و تنتظر يد القدر تفعل بها ما تشاء"[1] هذا هو حال امرأة الحجازية التي بقيت تحافظ على العادات و القيم الدينية، على الرغم من أنّ "زكية" كانت تحب و تشعر برغبة الارتماء في أحضان عشيقها "جميل" إلاّ أنّ اعتزازها بكرامتها وشرفها و مقوماتها الدينية و خجلها منعها من القيام بذلك " هذه هي حالة الفتاة المكية التي كانت تتمثل في زكية بصورة مكبرة، فإنها تحبه حبا عنيفا طاغيا يفوق في نظرها حب أية فتاة أخرى، و خاضعة – في الوقت نفسه– لتقاليد شديدة –تقاليد القديمة – يجب عليها إتباعها و الخنوع لتعاليمها ..."[2]

فالحب إذن هو السر المعلق و اللغز المبهم الذي يصعب الوصول إلى تحقيقه و لا يحس بنيرانه إلاّ قلب العاشق فبرغم من أنّ "زكية" تحب "جميل" إلاّ أنها لا تستطيع أن تخرج ما في داخلها أي ما في قلبها. "و لهذا كانت زكية تحرص كل الحرص على إخفاء حبها المتأجج و تتظاهر بعدم الاكتراث بكل ما يخص حبيبها، حتى أنّها عندما يأتي ذكره لمناسبة أثناء الحديث تفر من المجلس لتخفي خجلها بعيدا عنهم"[3].

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص10.

[2]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص18.

[3]- نفس المرجع، ص25.

7-3 المرأة و العلم:

إنّ المتأمل في هدف البعثة المباركة للبني الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلّم الذي أولى في الحثّ على طلب العلم و المعرفة كما أنّ: العلم و التعلم ينص في كتاب الكريم احد الأهداف الأساسية لبعثته (ص) قال تعالى في سورة الجمعة: "هو الذي بعث في الأميّين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتابة و الحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين". و لم يستثن من هذه الدعوة أحد من البشر باختلاف أجناسهم، فالدين الإسلامي يأمر بطلب العلم، و وعده على جميع المسلمين رجالا و نساءا، هنا و من خلال هذا يكون المفهوم المستفاد من منطوق هذا الحديث الشريف أنّ العلم و المعرفة المعرفة بما سلف ذكره هو ضرورة في حياتنا اليومية إلى أنّ من خلال قصة "غادة أم القرى" انعدم هذا الجانب من خلال شخصية "زكية" التي تعاني من حرمانها للعلم. و هذا ما يقودنا عن حسن نية إلى المقولة المتخلفة التي تلح إلى فكرة أنّ المرأة لم تخلق لشيء آخر سوى البيت، أي أنّ وظيفتها التاريخية تتحدد بأمومتها و في هذا الصدد يقول أحمد رضا حوحو عنها: "كانت زكية منهمكة في أعمالها اليدوية يحوطها سكون شامل عميق فلا ترى حولها حركة عدا حركات إبرتها و هي تنتقل بخفة فوق متن قطعة القماش الحريرية البيضاء المثبتة على قوائم منسجها الخشبي و هي تنثر وراءها أزهارا نضرة مختلفة الألوان و الأشكال"[1].

فتتحول "زكية" إذن إلى مجرد دمية أو قطعة كريستال ثمينة توضع في البيت لإثارة فضول الزوار و الضيوف، و عندما يخرج رضا حوحو من دائرة الإصلاح المعلقة، يحاول

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص13.

أن يبحث لها عن منفذ لإخراجها من قتامة التخلف، و هذا مما يدل على أن زكية تتحول إلى جزء من أملاك البيت. غير أن الفكر الغيبي الذي يحل محل التفكير و العلم يحصران المعرفة في قالب لاهوتي غير قابل للتطور أبدا و هذا ما جعلها تعيش حياة رتيبة مقلقة لا شيء يتجدد فيها، فالكاتب حاول أن يجعل من زكية ثائرة على التقاليد، و هذا لم يمنعه من ان يظل وفيا لطبقته و لحاسته الكتابية و الفكرية التي تدفعه إلى قول الحقيقة التي تتضارب مع قناعته الإصلاحية، و لهذا كانت زكية تحلم ضد القيم الاجتماعية، لكن هذا لم يمنعها من عودتها إلى القيم التي تعلمتها من طبقتها و ما تزال حضورا واضحا في وعيها، و هذا من خلال قول حوحو ط و بدت زرابي وفيرة فارسية تغطي أرض الغرفة يحوطها مربع من الأرائك زرقاء اللون، مزخرفة يبدو طرفها، بينما اختفى الجانب الكبير منها تحت بسط حريرية بيضاء مفروشة فوقها، و على الأرائك مساند من نوعها أسندت إلى الجدار في فتور وتراخ"[1].

---

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص14.

8-صورة المرأة في الأدب العربي الحديث:

لقد كانت صورة المرأة في الرواية العربية تعتمد دوما على خلفية الكاتب و وعية و ثقافتة والبيئة التي خرج منها و تأثيرها ويرى العديد من النقاد أنَّ صورة المرأة في الأدب النسوي العربي كانت صورة نمطية للمرأة فهي المرأة المقهورة السلبي المتلقية الخاضعة للهينمة الذكورية و مقموعة، و القمع هنا يتراوح بين العادات و التقاليد و الظروف المجتمع و أنماط التعامل فيه، و لم تخرج المرأة عن هذه الصورة إلا في حالة محدَّدة.

و نرى هذه الصورة مطابقة في قصة غادة أم القرى و يتبين من ذلك خلال شخصية "زكية" التي سيطرت عليها العادات و التقاليد من خلال مكوثها في البيت، و لعل الرواية العربية الحديثة لعبت دورا في إظهار المرأة بصورة مغايرة و على الصعيد البحوث التي أفردت لدراسة صورة المرأة النسوية العربية يأتي باحث الدكتور "طه واديء" صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة، و لقد حلل في بحثه هذه الصورة المرأة في الرواية و من خلال هذا سوف نتطرق في قصة غادة أم القرى إلى جزئين من الصورة، فهناك الصورة الجسدية و هناك أيضا الصورة المعنوية

1) – الصورة الجسدية:

و تتحلى الصورة الجسدية من خلال شخصية زكية التي وصفها أحمد رضا حوحو في شكلها الخارجي و نجد هذا في قوله :" و انعكس على صفحة المرآة الصقيلة خيال فتاة معتدلة القامة، رشيقة القد، تكسو جسمها سمرا، تشوبها حمرة خفيفة ذات عينين نجلاوين حالكة السواد."

و من خلال هذه المقولة لقد عبر أحمد رضا حوحو عن ملامح عامة للجمال الجسدي واتخذ العيون في جمال المرأة مكانة ذات شأن، و هي التي تفتح القلب للحب و نذكر جانب آخر من سمات جمال المرأة و الذي يتمثل في خدودها و ينبغي أن تكون صفة الخد رقيقة صافية نقية[1].

[1]- قصة غادة أم القرى، ص13-14.

2) –الصورة المعنوية:

تتجسد الصورة المعنوية في القصة " غادة أم القرى " التي تتمثل في شخصية "زكية" التي تحمل أخلاق و حنان و عطف خاصة مع حبيبها "جميل" الذي يمثل بالنسبة إليها الرابطة المحبة الذي تبنى على أساس المحبة و الوفاء فمن الأخلاق التي تحملها "زكية" تتمثل في طاعتها الدينية و التقاليد الاجتماعية إذ أنها تتمثل " و تستمر على حياة أمها و جداتها من قبل؟... غير أنَّها ارهفت أذنها اليوم إلى صوت ثالث لفيئة من الشباب المثقف تعني بأمر إصلاحها في غير استهتار أو جمود تدعو لأن تنال المرأة نصيبها من العلم الديني والتعليم المنزلي و الاجتماعي، و تحظى بحقها في الحياة و هي موفورة الكرامة محفوظة الحجاب الشرعي"[1].

كما أنها تتسم بحنان و عطف اتجاه أمها و هذا ما جعلها تعاني من حرمانها للحب و العلم و الحرية التي بواسطتها تواجه مصاعب الحياة و جعلتها ماكثة في البيت "كانت زكية منهمكة في أعمالها اليدوية يحوطها سكون شامل عميق فلا ترى حولها حركة عدا حركات إبرتها و هي تتنقل بخفة فوق متن قطعة القماش الحريرية البيضاء المثبتة على قوائم منسجها الخشبي و هي تنثر وراءها أزهارا نضرة مختلفة الألوان و الأشكال"[2] وهذا تدخل ضمن حدود سيطرة العقلية ذات الطابع الأخلاقي الإصلاحي، المغلف بغلاف عام و هو الدّين.

---

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص11.

[2]- م.ن، ص13.

و أنّ الشخصيات التي أحاط بها تجربة "جميل صادق" و "زكية" على الرّغم من تمرّدها الحياتي، أنّ وجودها في القصة ليس وجودا مصيريا و إنّما لتفسير قناعات الكاتب سواء الإيديولوجية أو الجمالية. و لهذا فهي دائما تخفي سرّها الحقيقي تجاه حبيبها أو عائلتها "لهذا كانت زكية تحرص كل الحرص على إخفاء حبّها المتأجج و تتظاهر بعدم الاكتراث بكل ما يخص حبيبها، حتى أنها عندما يأتي ذكره لمناسبة أثناء الحديث تفر من المجلس لتخفي خجلها بعيدا عنهم"[1] و هذا يدخل ضمن السّيطرة و التحكم، لأنها في نظرهم مملوكة لهم ولديهم الحق في أن يفعلوا بها ما يشاءون.

[1]- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، ص25.

خــاتــمــة

الخاتمة:

لقد كانت هذه أهم القضايا التي توصلنا إليها في بحثنا حول موضوع قصة "غادة أم القرى" من خلال دراسة مجموعة القصصية للكاتب "أحمد رضا حوحو" الذي استطاع أن يسجل حضورها في قائمة أدباء العرب بكلّ جدارة، و أثّرت التجربة الابداعية مضيفا إليها خصائص جديدة.

و من خلال بحثنا هذا حول القصة "غادة أم القرى" توصلنا إلى ما يلي:

- استطاع أحمد رضا حوحو أن يعالج قضية المرأة الحجازية و معاناتها.
- حضر في القصة الحوار، فكان الحوار هو السّمة البارزة في معالجة للأحداث.
- بالاضافة إلى السرد بعض الأحداث الذي أراد استدراكها، و أغلب موضوعات هذه الاسترجاعات كانت تاريخية تخدم أفكار الكاتب.
- تمكّن من معالجة بعض الشخصيات منها الاساسية و الثانوية.
- استطاع أن يوظف بعض الأبعاد منها الايديولوجية و الاجتماعية.
- استطاع الكاتب أن يسّق جماليات النّص الرّوائي من الموروث القصصي العربي والتقليدي.

واجهتنا أثناء اعداد بحثنا بعض الصعوبات الذي دهمنا كثيرا لأنّ هذا البحث يتطلب الوقت كثير، و رغم ذلك إلّا أننّا توصلنا إلى انجاز بحثنا في وقته المحدّد.

و في الأخير لا يفوتنا أن نشكر أستاذنا المشرف الذي مدّ لنا يد العون في انجاز هذا البحث، و نتمنى أن يلق الاستحسان و القبول.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب، إعداد و تصنيف يوسف خياط (د.ط)، بيروت، دار العرب، دت.

2-فيروز أبادي، القاموس المحيط، (ط2، مصر شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952) .

3-فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف، (دط، بيروت، 1969).

4-محمود زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، أصولها اتجاهاتها أعلامها (د.ط، منشأة المعارف الاسكندرية، دت) .

5-أحمد المدني، فن القصة القصيرة للمغرب الأقصى في النشأة و التطور والاتجاهات (دط، بيروت، دار العودة، دت).

6-مصطفى عبد الشافي، ملامح من علمهم القصصي، دراسات في القصة العربية المعاصرة، (دط، دار الوفاء لدينا الطباعة و النشر، مصر، 1997).

7-نجيب العوني، مقارنة الواقع في القصة القصيرة المغاربية، من التأسيس إلى التجنيس، ط1، المركز الثقافي العربي، 1987، لبنان، المغرب.

8-طلالحرب، أولية النص نظرات في النقد، (دط)، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر، لبنان، 1999.

9-عبد الله ركيبي، الوراسي و دراسات أخرى.

10- نور سلمان، الادب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير.

11- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، (دط)، ديوان المطبوعات الدامعية (دت)، الجزائر

12- عايدة أديب بامية، تطورات الأدب القصصي الجزائري، 1905-1967، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، (دت)، الجزائر.

13- براهيم صحراوي، ديوان القصة (منتخبات من القصة القصيرة الجزائرية، منشورات أمانة عمان الكبرى، دط، 2002.

14- عبد الله خليفة ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974.

15- أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، دراسة، ط1، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، سوريا، 1996.

16- زليخا السعودي، الآثار الأدبية الكاملة، جمع و تقد، شربيط أحمد شربيط، ط1 الجزائر، 2001.

17- صالح مفقودة، تقنية الدّراسة في الرّواية (2) العلاقات الانسانسة، دار الكتاب العربي، الجزائر، أفريل 2001.

الفهرس

الفهرس

الفصل الثاني : صورة المرأة في قصة غادة أم القرى